ثروت أباظة

جُذورٌ في الهواءْ

الناشر : مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي الفجالة
سعيد جوده السحار وشركاه

— ١ —

ما أحلى السنين ، وما أجمل هذه اللحظة الى أنا فيها ! ، كيف أستطيع أن أمسك هذه الهنيهة من الزمن فأجعلها تقف لا تمر ؟ تبقى لا تمضى ؟ وأنا واقف هنا أرى اسمى على لوحة الكلية ، معلنة أنى حصلت على ليسانس الآداب . لقد جاء الطلبة أفواجا وانصرفوا فرادى وجماعات وأنا بهم واع وغير واع ، مدرك وغير حافل ، متجمد ، أنا أحاول أن أجمد لحظتى ولكن اللحظة امتدت فى عمق الزمن ، وانماع كيانها وانداحت حتى أحسست نفسى أقفز فجأة الى الهواء . لقد نجحت ، وكأنما لم أدرك أننى نجحت الا وأنا أقفــز هذه القفــزة . أيستطيع أحد أن يدرك معنى هذا النجاح الا أنا وهى ؟ حبى الأول والأخير . أحلام الصبا وآمال الشباب ، وأوهام الهوى وحقيقته ، وخفق الحب ونبض الحياة ، والعيون الرانية الى السنين المقبلة نعزة التحدى ونظرة الأمل ، وخشوع الرجاء ورجفة المرتقب . والأمسيات تروى لقاءنا الهامس تظله الأغصان الحالمة فى حديقة أبيها . ومطالع الشمس لا تبتسم الا على

بسمتنا فى لقاء الصباح وهى فى طريقها الى المدرسة وأنا فى طريقى الى الكلية •• والليالى البيضاء التى لا تعرف الظلام ، أظل ورفيقى الكتاب والمصباح حتى يتسرب شعاع الشمس الى ضوء الكهرباء فيطفئه فيصبح مضيئا كالمظلم كصرخة فى واد ، ويضحى نوره كجدول شحيح يغمره من البحر طوفان ، وتظل ابتسامتها مع نور الفجر فلا تعب ولا رهق ، فأنا جديد كأنما ولدت من بسمتها والى المذاكرة أعود •

كنت أقضى العام كله أقرأ فى غير كتب المدرسة •• لقد أمسك الأدب بخناقى منذ لا أعرف متى •• حين كنت طفلا ألهو كنت أجد متعتى الكبرى فى قصص الأطفال حتى كبرت القصص وكبرت معها ، ومنذ ذلك الحين الذى لا أذكره أصبحت القراءة هى حياتى جميعا •

وأحسست يدى تقوى على أن تمسك القلم وأنا بعد فى خواتيم الصبا وبواكير الشباب ، فكتبت وأصبح لى قراء ، ولكنى فى نفس الوقت لم أهب للدراسة ما تستحق فكنت أنجح كل عام ، ولكن فكرة التفوق لم تخطر لهذا النجاح على بال • وكنت ألتهم العام جميعا فى شهر وبعض شهر من أواخر العام الدراسى •

وعلى طول خطواتى فى الدراسة والأدب عرفت تحية •• فأبوها يقيم فى فيلا مقابلة لشقتنا •• وهو صديق أبى ، وأمها

صديقة أمى ، وبيتنا صديق بيتها ، وقد جمعتنا الطفولة وملاعب الجيران •

حين عرفت خبر نجاحى أصبح تفكيرى مركزا على شيء واحد : كيف أنبئها بذلك النجاح دون أن أفلت من الزمن دقيقة واحدة ؟ جريت الى التليفون •• لماذا أصبحت حياتنا جميعها مظاهرة ضخمة من المنغصات ؟ ولمـــاذا يرفض التليفون أن يستجيب ويعود الى عمله الطبيعى من وصل الحديث بالحديث ؟• والبقال وصاحب التليفون يضيق بوجود زبون للتليفون وحده بالمحل • ومرت دقائق وأوشكت أن تكتمل ســـاعة ، وأشرق صوتها :

— آلو •

— نجحت ؟ •

— عارفة معنى النجاح ؟ •

— مبروك •

— مبروك علينا •

— أشوفك الليلة •

— وقبل الليلة •• قفى فى الشرفة وانتظرى القبلة التى سأرسلها اليك •

— أنت مجنون •

— مجنون تحية •

— باى ! •

ــ هل سمعت البوسة •

ــ باى ! •

ــ هل سمعتها •

ــ سمعتها •

ــ فأين ردها •

ــ أنت تستحق ألف بوسة •• أشوفك الليلة •• باى !•

ووضعت السماعة وأحسست أن نجاحى أصبح مجموعة من النجاحات •

لم يكن أبى فقيرا ولكنه أيضا لم يكن غنيا ؛ وكنت أعلم أن طلب الزواج سيجعله يفكر ، لكن زواجى من تحية بالذات سيجعله يتصرف • وعلى كل حال فالمشكلة لم تكن مشكلة أبى ولا أمى ، انما كنت أخشى أن يرفض أبوها هى ، وأى شيطان أخرق يجعله يزوج ابنته الباهرة الحسن الرائعة الجمال من فتى يستشرف الأيام الأولى من حياته العامة ، وليس فى يده من أدوات فن الحياة الا شهادة أصبحت لقى فى الطريق ، يحملها السواد الأعظم من شباب البلد دليلا على أن جهلهم أصبح معترفا به رسميا من الدولة •

كنت واجفا حين طلب أبوها الى أبى أن يمهله بضعة أيام • ويلى اذا كان فى المسألة تفكير ! • ان أباها لا يعنيه أنى أديب وأنى أنشر قصصى ومقالاتى فى أعظم مجلات العالم

العربى ، بل هو لا يعنيه أننى أكتب روايتى الأولى لم يوقفنى عنها الا امتحان الليسانس • ولا يعنيه مطلقا أننى أعلق آمالى كلها على زواجى من ابنته • فان آمالى أنا ليست من أهداف حياته ، ويكفيه أن يحمل عبء آماله هو وآمال زوجته وابنته • ولا يعنيه أيضا أننى شاب وسيم كثيرا ما ألفت فتيات فى الجامعة نظراتهن الىّ ، ولكننى كنت أعلم أنهن يخرجن مع أصدقائهن بالأجر ، لم أكن أحب هذا النوع من المغامرة مع فتيات الجامعة ، كنت أخاف أن أحس أننى أضاجع نفسى اذا نمت مع زميلة ثم دفعت لها أجرا •

لا يعنى عمى نصر بك المنوانى أننى وسيم ، فقد تعنى هذه الوسامة شيئا لتحية أما له فطظ • لأكن دميما ما شاءت الدمامة • وغنيا بعض الغنى الذى يجعله يطمئن على مستقبل ابنته • أى شيطان أخرق اذن سيجعله يقبل زواجى من تحية ؟ طيب •• لأضع نفسى مكان عمى نصر •• ما هى المزايا التى تجعلنى أوافق على زواج أيمن ربيع حجاج من تحية ؟•• ابن صديقى ؟ طظ ! • ولد طيب وابن حلال ؟ • طظ ! • أولا يستطيع أن يظل طيبا وابن حلال فى هذه المعاشرة المتباعدة ، ثم ينقلب فى لحظة بلهاء الى شيطان مريد ؟ • حاصل على ليسانس الآداب ؟ • خير لى لو أستبدل بها عمارة فى أحقر حى بالقاهرة •

أرأيت الرجل لم يفكر مطلقا فى مسألة أننى أديب أو

وسيم ؟ أنا عارف .. اذا كانت الشهادة لا تهمه فكيف يهتم بالأدب والفن والوسامة والقسامة .. لا أمل .

ـ لا تخف ، سنتزوج .

ـ صحيح ؟ .

وقفزت أقبل فاها ، وجاوبت قبلتى بقبلة غير صامتة .

ـ اهدأ .

ـ بالذمة صحيح ما تقولين ؟.

ـ سنتزوج .

ـ هل وافق أبوك ؟ .

ـ أنا وافقت .

ـ أنا أعرف أنك موافقة من زمان ، ولكن أبوك ما رأيه ؟ .

ـ ماذا تظن ؟ .

ـ رفض .

ـ فعلا .

ـ اذن كيف سنتزوج .

ـ هذا شغلى .

ـ الحكاية فيها شغل .

ـ شغل لا تعرفه أنت .

ـ وتعرفينه أنت ؟ .

ـ اذا أردت شيئا لا يقف أمامى شىء ، ولا أحد .

ـ حتى أبوك ؟ .



اذا أردت شيئا لا يقف أمامى شىء .. ولا أحد !

— وخصوصا أبى •

وتزوجنا ••

كم هم سخفاء أولئك الذين يذمون الزواج •• ان الانسان لا يشعر أن جذوره قد انغرست فى أرض الحياة وتشعبت حتى أصبح له ولوجوده معنى ، الا اذا تزوج • ان شعورى أن لى أسرة ، وان كانت مكونة منى ومن زوجتى فقط ، كان يعطينى احساسا بالطمأنينة ، وبأننى بعد أن كنت نباتا هشا على سطح الحياة ، أصبحت شجرة لها أصول وتنتظر الفروع • ومع هذا الاطمئنان استقبلت حياتى أشوق ما أكون لاستقبالها •

عملت فى جريدة الأيام التى كنت أكتب بها وأنا طالب ، وانتظمت بها مقالاتى وقصصى •• وعدت لروايتى التى كنت قد بدأت صفحاتها الأولى وأنا طالب • لم تعد أمامى من الحياة مشكلة ، فقد كان جمالها هو كل ما يثير القلق فى نفسى ، والفزع ألا أتزوجها • وقد تزوجت فلم تعد لى مشكلة • وقد كان زواجى فاتحة خير وافر لى ، فقد أهدت الى فى يوم الزواج سيارة ، وبهذا قضت على أقسى ما يواجه ملتمس الطريق فى القاهرة ، اذا التمسه أعزل من السيارة ومن ملبس غير عادى يستطيع به أن يخيف سائق التاكس ليقف له • جعلتنى السيارة المهداة فى غنى عن اذلال سائق التاكس •• وطبعا لا حاجة بى الى ذكر السيارات العامة ، فهذه لم تعد وسيلة

مواصلات بقدر ما أصبحت أعظم وسيلة لاهدار الـكرامة البشرية •

صحيح أن الكرامة البشرية فى مصر قد قضى عليها منذ فترة طويلة ، ولكن الانسان لا يجب أن يعالن الآخرين بأنه أصبح عاريا من الانسانية • والسيارات العامة اعلان قد يجـد الكثيرون أنفسهم فى غنى عن رفعه • فلم يعد العزوف عن السيارة العامة تنكرا للفقر •• فقد أصبح الفقر فى مصر مفخرة وشرفا ، فهو حليف أبناء البيوتات الشرفاء من أبناء الشعب عامة الذين لا يمتون للمسئولين بأية صلة ، ولم يصبح بيننا غنى الا بسبب لا يرضى الشرف أو المقاييس القديمة للأخلاق • وهكذا لم يكن يعنينى ــ بل لعله كان يشرفنى ــ أن أركب السيارة العامة ، او أن هذه السيارة أبقت على نذر يسير من آدميتى •• آدميتى التى أكتسبها من شكل الانسان الذى صورنى عليه ، ولا علينا من آدميتى تلك التى اختطفت مع آدمية المصريين •

وقد كان من المستحيل أن يشترى لى أبى سيارة ، فقد عاش عمره رجلا فى ظل من الحياة وارف ، بعيداً عن هجير الادارة وحرور الصدارة ، تلك النار التى تلفح الناس فتنضجهم فيصبحون خبراء بمكامن الخزائن ومظان الثروات ، وتلك الجداول والأنفقة التى تصل بين المكامن والمظان وبين جيوبهم • وهكذا فرحت بالسيارة ، فأنا من هؤلاء الذين يؤمنون بأن

الأديب لا يمكن أن ينتج فنا ذا قيمة ، الا اذا كان مطمئنا الى يومه وغده • وأولئك الذين سحقهم الجوع ، وكانوا يكتبون وهم بين أضراس الحاجة ، لا نستطيع أن نعرف أي فن كانوا سيقدمونه للناس لو توفرت لهم طمأنينة العيش •• ولعل ديكنز ، وهو من أكبر الأمثلة على لهاث الأديب تحت صنبور الناشر ، كان ينتج فنا أروع مما أنتج لو كان بجيبه ما يجعله يكتب وهو منتظم النبض • ولا أنسى ما سمعت عن ذلك الأديب الذى كان يجلس بمقهى بار اللواء متهيئا ليكتب مقاله للجريدة التى يعمل بها ، فكان يميل على صديق له يستلف منه جنيها ، ويضع الجنيه فى جيبه ويبدأ فى كتابة مقاله ، حتى اذا أتمه ومهره بتوقيعه ، أخرج الجنيه ورده الى صديقه فى الجلسة نفسها • لم يكن يريد من الجنيه الا أن يشعره بالطمأنينة حتى يكتب مقاله •

فقراء الفنانين أنتجوا فنهم على رغم فقرهم •• لا بسبب فقرهم •

وقد كانت زوجتى ثرية ، ولكن التقاليد البالية كانت تحتم على أن أصر أنا لا هى على أن أقوم بشأن البيت ، وليواجه ثراؤها بعد ذلك ما يتصل بخاصة شأنها من ملبس وزينة •

وأسباب غنى زوجتى لم تكن خافية على أحد ، فقد كان أبوها موظفا ، ولم يكن لديه حين تزوج مال ، ولكنه كان يعمل بوزارة المالية ــ وهى وزارة تستطيع أن تصل بين موظفيها وبين

هجير الادارة وحرور الصدارة ـ فنضج وأصبح رئيسا لمجلس الادارة •

وأنا لا ألوم أبى فقد كان مدرسا ، وكل ما استطاع أن يجمعه من الدروس الخاصة والعامة هو ثمن البيت الذى كنا نعيش فيه ، والذى كان يشمل أربع شقق نسكن نحن احداها ، ونطل منها على بيت نصر بك الملوانى الذى أصبح مع الأيام قصرا ، والذى أحببت أنا ابنته تحية وأهدت الى السيارة فى يوم الزواج •

وبفضل هذا القصر لم نتعرض لمشكلة المسكن •• فقد أفرد أبوها لى جناحا فخما بعيدا عن صدارة القصر ، متصلا به عن طريق ممر أنيق ذى زجاج مصنوع فى ايطاليا ، قادر فى عز الشتاء أن يدخل دفء الشمس دون وهجها •

حاولت بعد أن تزوجنا أن أعرف من زوجتى كيف أقنعت أباها أن يقبل زواجى بها ، ولكنها كانت تدور بالحديث فأجد نفسى فى متاهة •

وازدادت هذه المتاهة غموضا حين وجدت عمى نصر بك يعاملنى معاملة غاية فى الرقة والعذوبة ، وقد تكشف لى الرجل عن خبرة نادرة فى معرفة الطريق الذى يستطيع به مداعبة الغرور فى نفس الذى يعامله ، فهو يدرى تماما الكلمة التى ترضينى وتثير منابع الزهو فى نفسى وبنفسى • فهو مثلا يعلق على كل كلمة يقرؤها لى فى الجريدة ، وهو اذا فعل لا يمدح

مدحا مطلقا ، وانما يثير حول ما أكتب موجة من الآراء ، ويشرك معه زوجتي وهنية هانم حماتي ، ويدافع هو عن رأيي ويتبناه ، وكأنه رأيه ، ويستخدم أحيانا الألفاظ التي استخدمتها في كلماتي •• فان علق على قصة ، راح يحلل شخصياتها ويخلق مما كتبت أعماقا لعلي لم أقصدها ، واذا بي أجد نفسي لفترة غير قصيرة من الجلسة معه ، موضع الحديث والاهتمام •

ولا يكتفي عمي نصر بك بامتداح كتابتي ، بل هو في دربة باهرة يلحظ اليوم الذي أقصد فيه أن أكون أنيقا ، فيلقي ملاحظة سريعة حاسمة تشعرني أني بلغت من الأناقة ما أريد •

وقد لاحظت عمي نصر بك في معاملته للناس أجمعين ، أن له قدرة خارقة على ارضاء الناس وعلى مديحهم في غير سرف وفي غير بخل • وهكذا أصبحت على وعي تام بالطريق الذي وصل به الى رئاسة مجلس الادارة ، كما أصبحت على وعي تام بالطريقة التي أصبح بها مالكا لهذا القصر الذي أعيش في جناح من أجنحته •

أما زوجته هنية فخير زوجة لزوجها ، فالغنى والمركز هما النجاح الحقيقي في الحياة •• وظهور اسمي في الجريدة هو مظهر النجاح عندها ، ولا يهمها في شيء ما أكتبه أو ما أثيره من آراء •• المهم أن زوج ابنتها يظهر اسمه في الجريدة •• والدليل على أن ما أكتبه شيء عظيم ، أن عمي البك مبسوط منه ، وما دام هو مبسوطا فلا شك أن هذا الذي أكتبه رائع •

كل هذا فهمته ، ولكن الذى لم أستطع فهمه هو لماذا قبل نصر بك أن أتزوج تحية ، ولماذا يعاملنى هذه المعـــاملة العذبة • قلت فى نفسى لعل ابنته أصرت ، وحين وجد نفسه أمام اصرارها قبل الأمر وأذعن له • أما معاملاته فقد خيل الى للحظة أنه يعاملنى مثلما يعامل كل من يتصل به • ولكننى كنت أتصور أن المنافقين يحبون أن يستريحوا من النفاق مع الذين لا يرجون منهم خيرا ، وان كنت سمعت من بعض زملائى فى الجريدة : أن المنافق لا يتخلى عن نفاقه مع أحد من الناس وان يكن لا يرجو منه نفعا ولا يخشى منه ضررا ، لأن المنافق يخاف أن تصدأ موهبته فهو يشحذها مع الناس أجمعين ، سواء أكانوا ممن يستحقون النفاق أم لا يستحقون •

وعلى أى حال من الحالين فالرجل غاية فى الرقة معى • ولتكن أسبابه ودوافعه ما تكون فاننى أنا الكاسب آخر الأمر •• وأنا واحد من الناس أعامل الناس بظاهر معاملتهم لى •• فالحقيقة المختفية فى النفوس لا يعلمها الا خالق النفوس ، وليس لنا نحن البشر الا ما نرى حتى يظهر ما تخفى ويبين ما تنبض به القلوب •

— ٢ —

حياة جديدة عشتها مع تحية والجريدة ، وانفسحت أمامي آفاق من الدنيا التي كانت بالنسبة لي طلاسم ومجاهل وسماعيات ، فقد عشت حياة الدراسة أدور كالعصفور التائه في أجواء الطلبة وأوهامهم : لا أشعر أنني أجد نفسي الا في جلساتي الهامسة في حديقة تحية ، ولا أعرف من دنيا القاهرة التي تكونت منذ قريب شيئا ، ولعنة الله على كتب الأدب فان قراءتها جعلتني مخدورا واهما ، أحسب أنني عرفت الحياة من خلالها • فحين انفتحت أمامي هذه الآفاق الجديدة ، تبين لي أن حياة الكتب هذه حياة مرسومة يصنعها الكتاب بالصورة التي تحلو لهم ، وليس بالصورة التي ترسمها الحياة لنفسها • فحياة الدنيا عربيدة جامحة رعناء ، ترسم خطوطها وخطوط ناسها كما تشاء • والعجيب في أمرها أنها لا تلقي أية عناية لأصول فن القصة التي أفنيت شبابي في الوصول اليها من ثنايا قراءتي للقصة وقراءتي عن القصة • أما هذه الدنيا فبوهيمية لا تراعي أية أصول ، وأول أصول تستحقها وتحتقرها هي أصول القصة • فاذا أنت أوغلت في الحياة وأردت أن تنتمي



ولتكن أسبابه ودوافعه ما تكون •• فانني أنا الكاسب آخر الأمر

الى دفاعها وأبنائها ومنابتها وسبلها ، ألفيت دنيـــاك ترمى بالأحداث فى وجهك دون تلك المقدمات التى يلزمك فن الرواية بمراعاتها ، وتنظر الى هذه الأحداث أو التشابكات التى تكون عقد القصص فى الحياة . فتجد أحداثا وتشابكات خالية من أى منطق أو معقولية أو تفكير • وأنظر الى نفسى فاذا أنا تائه ذاهل بما يحمله عقلى الهش من أحداث القصص الروائية ، واذا أنا فجية أكتشف أننىقضيت ربع قرن مع الحياة وأنا غريب عن الحياة لا أعرفها ولا هى تعرف أمثالى • ولا يبقى من هذه القصص والروايات التى كنت أقرأت الا ذكريات الاستمتاع بقراءتها ، ثم لا شىء بعد ذلك •

ولقد هدنى وزلزل كيانى أن غرورى راح ينســـحق شيئا فشيئا لأجد نفسى آخر الأمر هباءة هائمة فى دنيا غريبة تنكرنى ولا أنكرها ، توشك أن تنبذنى وأتمسك بها ، وتتجهم لى تجهم من يجهلنى وأحاول أن أبتسم لها ابتسامة من يتظاهر بمعرفتها •

وجدت نفسى فجأة ـــ أو من غير فجأة ـــ عضوا بنادى الجزيرة • وهذه العضوية لمثلى حدث هام فى حياتى أحب أن أمارسه بأسرع ما تكون الممارسة وبأوسع ما تكون الممارسة • بحثت عن حقوق العضو فوجدت أننى لن أتمتع منها بشىء ، فلعب الألعاب بعيد عن طموحى ؛ ودعوة الناس بعيدة عن مواردى المالية ، والداخل للنادى لا يحتاج الى عضوية فأنا لن أذهب وحدى ، وزوجتى عضو بحكم أنها ابنة أبيها الذى

ما كان لأبهته أن تكتمل ان لم يكن عضوا بجميع نوادى مصر الكبرى • وهكذا لم تضف العضوية جديدا الى الا أنها مع ذلك جعلتنى أشعر أننى شىء مهم . ولو لم تهب لى الا هذا الشعور لكان حسبها وحسبى •

ذهبت فى أول يوم الى النادى مع زوجتى وعمى نصر بك وزوجته هنية هانم ، فوجدتهم يتجهون الى منضدة بعينها • فما ان انتهى مسيرهم اليها حتى توقفوا وراحوا يتبادلون نوعا من السلام يدل على أنهم يلتقون دائما • واتسعت الدائرة لتشملنا ،وراحت العيون تتجه الى خفية أحيانا وفى صراحة وجرأة أحيانا أخرى • ورحت أنظر فى القوم • انهم قادة الاشتراكية فى مصر : رؤساء مجالس ادارات ، وأمناء اتحاد اشتراكى • وجرى الحديث وبدأ بى بطبيعة الحال بصفتى عضوا جديداً فى المنضدة لا فى النادى فقط • عجيب شأن هؤلاء الناس ! كيف استطاعوا أن يخلقوا بينهم هذه اللغة المشتركة • نفس الطريقة التى يتكلم بها عمى نصر ، ونفس المقاييس ، ونفس العبارات ! وفجأة ارتفع صوت سيدة من زوجاتهم أو من بناتهم لا أدرى ، فالأمر مختلط :

ــ تصورى جيجى فتحت بوتيك فى الزمالك •

• قالت الأخرى وكأنها لم تكن تعرف :

ــ لا يا شيخة ؟

وضحك تيسير بك عبد المولى رئيس مجلس ادارة الشركة العربية للغزل ورئيس الاتحاد الاشتراكى بها :

ـ مغفلة •

ونظر اليه السيدات وقالت احداهن :

ـ لماذا يا تيسير بك ؟

ـ لماذا ؟

ـ الزمالك أصبح لا يسكنها الا الفقـراء الذين كانوا أغنياء ، والروس الذين يصـدرون النتر الى جميع بلدان العالم •

وضحك السيدات ، وغصت فى الكرسى الذى أجلس عليه •• أهؤلاء هم زعماء الاشتراكية فى بلدى ؟

وعادت احداهن تقول بعد أن فرغت من ضحكها :

ـ ولكننا نسكن فى الزمالك يا تيسير •

ـ وهل نشترى نحن حاجاتنا من مصر ؟

وضحك الجميع مرة أخرى ، ونظر الىّ تيسير بك :

ـ ما رأيك فى هذا الكلام يا أيمن ؟

لم أكن أتوقع السؤال ولم أعد له ، ونوع الحديث غريب على فى هذا المكان ومن هؤلاء الناس ، فوجدت نفسى حائرا ولكننى مع ذلك قلت دون وعى :

ـ معقول •

وجعلت همى فى هذه الجلسة مطالعة وجوه الجالسين من

سيدات ورجال ، واختطفت عينى بعض ابتسامات رمت بها الى نسوة منهن لا أدرى ان كن زوجات أم أخوات أم بنيات . ولكن الذى أدريه وأؤكده أننى أكملت الجلسة تائها . وما ان وصلت الى بيتى حتى أمسكت بالصفحات الثمانين التى كنت كتبتها فى روايتى ، ومزقتها جميعا وألقيت بها الى النار حتى لا أحاول بعدها أن أعود اليها .

لقد كانت الرواية عن المجتمع المصرى الجديد ، وقد تبين لى فى لحظة أننى لا أعـرف أى شىء عن المجتمـع المصرى الجديد .

★ ★ ★

تبين لى أن العضوية لابد منها ، فقد صرت بعد ذلك أذهب منفردا الى النادى وأنتظر تحية به ، أو تذهب هى وتنتظرنى هناك . بل اننى مع الأيام وانشغال تحية أحيانا بأشياء أخرى غير النادى ، كنت أذهب وحدى .. فأنا لم أعد غريبا على الشلة . واتضح لى أننى من النوع الذى يحب النساء أن يلقين اليه بأسرارهن . وقد توطدت صلتى بثلاث من السيدات اللواتى كن معنا فى الجلسة الأولى ، هن :

الهام عبد المولى فقد اتضح أنها زوجة تيسير بك وقد عرفت أنها من أسرة غنية أصابها الغنى فى الفترة الأخيرة ويتاجر أبوها فى الغزل الذى يبيعه لأصحاب الأنوال الخاصة ،

وقد بنى من هذه الخيوط الواهية ثلاث عمارات ، كما اشترى مائة فدان تزرع بالعنب فى المحلة ، وليس له من أولاد الا ابنته الهام وابنه شريف •• وقد تعرف زوجها تيسير بك بأبيها فى ساحة شركة الغزل ، وعين له ابنه وتزوج ابنته • والهام فتاة تدرك فارق السن بينها وبين زوجها ، وتدرك تماما رغبة أبيها فى الانتساب الى صاحب لقب ، ورغبة زوجها فى الانتساب الى صاحب غنى • وتحب الهام أن تنتفع من لقب زوجها ومن غنى أبيها ، وعن هذين الطرفين المفروشين بالورد والياسمين تحب الهام أن تكون سيدة مجتمع تنشر الجرائد صورها ، وتتابع بالكاميرا خطواتها وحركاتها •

ــ هل توزع كثيرا جريدة الأيام ؟

ــ أعتقد أنها فى القمة ••

ــ أعرف ذلك ، فأنا من الذين يهتمون بتوزيع الجرائد •

ــ اذن فأنت تمتحنين معلوماتى ؟

ــ الحقيقة أننى أعجب بمقالاتك •

ــ أتظنين أن لمقالاتى صلة بالتوزيع ؟

ــ كل ما يكتب فى الجريدة يعمل على حسن التوزيع •

ــ أخجلتم تواضعنا •

ــ ولكن الاعلانات عندكم أقل من بعض الجرائد الأخرى •

ــ أرى أنك خبيرة فى الصحافة •

ــ هل تعمل فى الاعلانات ؟

ـــ أنا ؟ • أبدا •• أنا أكتب فى الأدب فقط •

ـــ مغفل •

ـــ نعم ؟

ـــ ألم تسمع ؟

ـــ المصيبة أنى سمعت •

ـــ فما هذه الدهشة ؟

ـــ لم أتوقع أن تشتمينى بهذه السرعة •

ـــ اذا أحببتُ شتمت •

ـــ يا بخت زوجك !

ـــ أنا لا أشتمه •

ـــ يعنى •• ؟؟

ـــ هل يعقل أن أشتم رئيس الادارة ؟

ـــ هل هو فى البيت رئيس مجلس الادارة ؟

ـــ فى كل مكان •

ـــ أراه ظريفا •

ـــ فى مثل سنه لابد أن يكون ظريفا ••

ـــ هل يرتبط الظرف بالسن ؟

ـــ عند رؤساء مجالس الادارة •

ـــ آه •••

ـــ أليس نصر بك ظريفا ؟

ـــ كنت أظن أننى وحدى الذى وصلت الى هذه النظرية •

ـ أى نظرية ؟

ـ كل رئيس مجلس ادارة رجل ناجح •• كل رجل ناجح ظريف • كل رئيس مجلس ادارة ظريف •

ـ فلماذا يقولون عنك مغفل ؟

ـ لا يقولها الا من يحبنى •

ـ ومن يحبك ينصحك أن تعمل فى الاعلانات •

ـ وأترك الأدب ؟

ـ لماذا تتركه ؟

ـ تقصدين ؟؟

ـ أنت محرر فى جريدة كبيرة ، واستطعت عن طريق حماك الظريف أيضا أن تتعرف على رؤساء مجالس ادارة ظرفاء •

ـ والله فكرة •

ـ غدا سأقدم اليك أمرا بنشر اعلان على نصف صفحة •

ـ عظيم •

ـ وأنا ، أليس لى عمولة ؟

ـ أنت تريدين عمولة ؟

ـ من نوع خاص •

ـ مثل ماذا ؟

ـ أن تنشر صورتى فى باب المجتمع •• ثم تنشر عنى خبرين على فترات تقررها أنت •



غداً .. سأقدم اليك أمراً بنشر اعلان على نصف صفحة

ـ بسيطة .

الواقع أن الغنى يغرى بالغنى . قد يظن البعض أن قبولى العمل بالاعلانات طفاسة ، فأنا أعيش فى بيت لا أدفع له أجرا ، وأركب سيارة لم أدفع ثمنها ، وكل ما أتكلفه بضعة جنيهات أتظاهر بها أننى أواجه مصاريف البيت . ولكن هذه التكاليف على ضآلتها لم تكن تترك لى من المال ما أستطيع أن أتصرف فيه بمحض ارادتى . ولم يكن قد مر على زواجى فترة تسمح لى بأن آخذ من زوجتى مصروف جيبى . فاذا لم أعتمد على مواهبى فى الحصول على المال ، فلن يجد هذا المال سبيلا الى جيبى . ووجودى الى جانب زوجتى وأبيها وأمها يرغمنى على أن يكون لى جيب فيــه مال ، والا أصــبح لونى غير لائق بقماشهم .

* ★ *

● أما السيدة الثانية فهى نيمت وهبى .. وحقيقة اسمها نعمات حذفت الألف ثم انقلبت العين ياء فكانوا ينادونها نيمت . وهذا المجتمع الذى انضممت اليه يحب أن يجمل الأسماء ويدلل أصحابها ، ولكن هذا لا يمنعه أن يعرف كل خافية من تاريخ عناصره ، ثم يلذ له أن يلوك هذا التاريخ لكل جديد وافد عليه . وقد عرفت تاريخ نيمت من الهام عبد المولى ، وعرفت تاريخ الهام من نيمت ، وعرفت من كلتيهمــا تاريخ عزيزة راشد .

نيمت حين كانت نعمات ، كان أبوها يعمل فى السكرتارية فى وظيفة تمكنه من معرفة أسرار رئيسه • وقد كان ينقل هذه الأسرار فى أمانة الى كبير آخر يكيد لهذا الرئيس • وحين تم للكبير ما يريد وأقصى الرئيس عن سلطانه • نظر الى وهبى عبد العال وأراد أن يبعده عن منصبه ، فالذى يخون رئيسه فى أمانة ، يستطيع أن يخون رئيسا آخر بنفس الأمانة • وكان وهبى ذكيا ، وكان يدرك أنه لابد مبعد عن وظيفته ، ولم تكن وظيفته تعنيه كثيرا فقد كان يضمر أن يطلب لنفسه مكانا قصيا • وتم له ما أراد فعين فى وظيفة تمكنه أن يتصل بالبلاد العربية ودول الخليج ، وما لبث أن أنشأ تجارة مع هذه البلاد فى الخردة • وما هى الا لفة صامولة حتى صار غنيا باذخ الغنى ، وصارت ابنته نيمت لا نعمات • وتكاثر خطاب نيمت ولكنه بعين راصدة خبيرة كان يختار الأحسن دائما ، فتزوجت من نجم لامع فى الاتحاد الاشتراكى ما لبث أن صار أمينا لاحدى الأمانات الكثيرة التى لا أستطيع أن أتذكرها ، ولا يهم أن أتذكرها •

وللقصة بقية طريفة وان كانت لا تتصل اتصالا مباشرا بنيمت : أم نيمت واسمها الست فهيمة ابنة عم أبيها وهبى ، وعمه هذا هو الذى رباه وقد زوجه من فهيمة مقابل هذه التربية ، فما كانت فهيمة لتستطيع أن تتزوج أحدا مطلقا ان لم يكن هناك سبب قوى يجعل من هذا الزواج اعتذارا

كافيا عن قبحها الفادح . وقد انتهز أبوها فرصة تعلق وهبى بالدخول الى الكلية فوضع زواجه من فهيمة ثمنا لهذا التعلق . وقارن وهبى بين قبح فهيمة العبقرى وبين جمال ملابس الكلية ووافق على الزواج . وكان العم من أذكياء الريف المصرى الذين يعرفون كيف يصرفون أمورهم ، فاستكتب وهبى كمبيالة بخمسة آلاف جنيه ، وجعل مؤخر الصداق خمسة آلاف أخرى .

وحين اتصلت أسباب وهبى بدول الخليج وأصبح فى مقدوره أن يدفع الآلاف العشرة ، قارن مرة أخرى بين طريقين أن تلهف فهيمة هذا المبلغ مقابل طلاقها ، أو أن يفرش شقة أخرى لفتاة جديدة تعوضه عن قبح فهيمة الذى لم تستطع السنون أن تجعله يتعود عليه . ولا شك أن الطريق الثانى كان أجمل وأمتع ، ولكن القدر كان يخبىء له مفاجأة أخرى ، فقد جاءت الفتاة التى اختارها محبة للفن ، وتمكنت من وهبى فجعلت منه منتجا سينمائيا وجعلت من نفسها نجمة . وهكذا أصبحت الآلاف العشرة مبلغا لا قيمة له فى غمار ما تكلفه اياه نجمة الشقة الجديدة .

زوج نيمت هو الأستاذ درى عبد الباقى متخرج فى كلية الحقوق ، وهو شاب لبيب قرر فى لمحة ذكاء أن يكون تافها حتى يصبح صالحا لما يعد نفسه له من مستقبل سياسى . ويبدو أنه وفق فى أن يجعل نفسه على قدر من التفاهة أهله أن يكون فى الصفوف الأولى من الاتحاد الاشتراكى . وقد صادقنى

الرجل وأنس الى وصار يلقى الى بدخيله نفسه . وكم دهشت لما عرفت هذه الدخيلة ! لقد كنت أتصور أن رغد العيش الذى يحيا فيه يجعله فى هناءة دائمه ومتعه لا مثيل لها ، فاذا بى أجد الرجل يحيا فى خوف دائم . فهو يترقب اليوم الذى يترك فيه منصبه فى ذعر واجف هالع ، فقد تعود حياة بعينها فيها لين وفيها رخاء ودعه ، ولا سبيل له أن يبقى على هذه الحياة لو أنه عاد الى المحاماة . وهكذا يحسن درى أن حياته معلقة بأن يبقى فى منصبه هذا ، فهو يبذل ما يملك وما لا يملك من كرامة ، ويهدر كل قيمة ، ويتغاضى عن أى معنى من معانى الرجولة أو الشرف ليبقى فى هذا المكان .

وتقول نيمت لى حين جلست اليها ان خوف الرجل وهلعه ينعكسان عليه فى حياته وفى خاصة تصرفاته ، حتى لقد أصبحت تشعر أنها تعيش مع رجل نصف مجنون يحاول جهده أن يحافظ على النصف الآخر من عقله بجهد فائق ، حتى لا تحل به الكارثة . وأحس من نغمة صوتها أن شيئا من الاحتقار داخلها بشأنه ، فلا أوغل فى الحديث ولا أدعها توغل حتى لا ينهار الرجل جميعه أمام عينيها .

ولكننى أدرك قبل أن تنتهى من حديثها ، أنها تشجعه على أن يحصل على كل ما يستطيع من مال ، ليجد بعض الأمن حين يأفل نجم الوظيفة . وأدرك أيضا أن الرجل لا يحتاج الى تشجيع فى هذا المضمار .

وأوشك أن أتساءل : لماذا هذا الخوف جميعه وزوجته على درجة من الغنى تستطيع أن ترد عنه كيد الحاجة ، ولكننى لا ألبث أن أجد الجـواب • فان الغـنى ليس غنى نيمت أو نعمات ، وانما هو غنى أبيها وهبى ، ووهبى غارق لأذنيه فى انتاج أفلام لصديقته الجديدة التى أصبحت قديمة ، ووهبى مستعد أن يمد زوج ابنته بالمال ما ظل زوج الابنة هذا فى منصب مرموق • فان زال عنه المنصب ، فان وهبى لا يرى داعيا مطلقا أن يعطى درى شيئا • وبعبارة أخرى — ان كان لابد من عبارة أخرى — أن وهبى مستعد أن يعطى صهره كل مال ممكن ما دام صهره فى غير حاجة الى مال ، وهو حابس عنه كل أنواع المال حين يصبح محتاجا لأى نوع منه •

★ ★ ★

● أما عزيزة راشد فسيدة من نوع خاص ، وزوجها أيضا خيرى عبد المولى من نوع خاص •

عزيزة راشد سيدة تركت الحلقة الرابعة من عمرها منذ سنوات قليلة ، وهى ذات جمال صارخ باذخ •• وهى تعلم فى نفسها هذا الجمال فتلفه بكل أناقة ، وتزين نفسها فى سرف ومرانة •• كان أبوها موظفا من كبار موظفى مصلحة البريد حين تزوجت خيرى الذى كان فى الدرجة الخامسة يومذاك •• وقد خرج الأب الى المعاش بعد أن صـار فى درجة وكيل

للوزارة ، واستطاع قبل أن يخرج أن يثب بصهره الى الدرجة الثالثة ٠

والذى يلقى نظرة عاجلة الى خيرى ، يجده متجهم الوجه توحى ملامحه بالصلف والغلظة ٠٠ وقد استطاع بمظهر الصلف وبالنفاق أن يصبح هو أيضا وكيلا للوزارة قبل أن يمسى فى الخمسين من عمره ٠ ومنصبه يمكنه أن يتصل بالعالم الخارجى ليعقد الصفقات لشئون وزارته ٠٠ وهو لا يسرق فى هذه الصفقات وانما ينال العمولة التى يعتبرها هو حقا ويراها القانون رشوة ٠ ولما كان لابد لهذه العمولة أن تصل اليه فى خفية رسمية من القانون ، فقد كان ماجد راشد أخو الست عزيزة هو الذى يحصل له عليها ٠ فماجد راشد متخرج فى كلية التجارة وصاحب مكتب محاسبة فى ظاهر الأمر ، ولكن مكتبه فى الحقيقة متفرغ للصفقات التى يعقدها زوج أخته ، والتى ينال هو عمولتها بعد أن يخصم نصيبه منها ٠ وقد استطاع هذا النصيب على ضآلته النسبية أن يصبح عمارتين ، وأن يصبح غنى خياليا يعيشه ماجد ٠

أما خيرى فشأنه فى البيت عجيب ، فأوامره صارمة ، وكلمته حاسمة ، واشارته قاطعة ٠ والست عزيزة تخشاه كل الخشية ، وتصغى لأوامره وكلماته فى احلال واكبار وتوقير ، وهى مع كل هذا تصنع به ما تريد من خلال حبه للعظمة ٠

فالظاهر فى أمرهما أنه صاحب الرأى ، والحقيقة أنها تسحبه من أنفه الى كل ما يعلن لها وهو بهذا سعيد كل السعادة ..
وهى أيضا بهذا سعيدة كل السعادة .

كان هؤلاء أصدقاء النادى وقد توطدت بيننا الأواصر ، فكانت تحية تدعوهم الى بيتنا وكنا نلبى دعوتهم ، حتى لنكاد نلتقى فى كل ليلة . وكان ماجد دائما معنا فى كل دعوة ، وقد كان أيضا يدعونا لفيلاته الفخمة التى تعتلى عمارته الشاهقة بالمنيل .

ورغم أن أصدقاء كل ليلة كانوا لا يتغيرون ، فاننى لم أشعر بالملل مطلقا ، فان لكل منا منحى فى الحياة ومتجها . فاذا جمعنا الليل فلكل منا حديث وتعليق ، والحديث حر لا خوف به ولا توجس ، وان كان درى يهمس به دائما . والتعليق ذكى عميق ، فجميعهم لماح يستخدم ذكاءه طريقا الى الثروة ، ولا يحرم نفسه من التعليق الذكى على هذه الحياة التى تمكنه من الوصول الى مبتغاه .

وقد استطاعت الاعلانات التى أصبحت أحصل عليها منهم ومن أصدقائهم بانتظام ، أن تجعلنى أشعر أننى ند لهم ، وأننى أستطيع أن أجلس اليهم وأنا مطمئن الى غدى الشخصى .

ولعل هذه الصداقة ، وانشغالى بأعمالى فى الصحيفة ، وحياة تحيـــة الاجتماعية المزدحمة لعل هذا جميعه ، جعل

الزواج بالنسبة الى متعة لا تنغيص فيها ولا كدر .. فأنا لا أكاد أذكر أننى وتحية اختلفنا فى شىء ، فكلانا على شوق حين نلتقى ، ولا يدركنا الملل من أوقاتنا . واستطاع الشباب أن يضفى على أيامنا بهجة ، فما عرفنا الطبيب الا حين حملت تحية فى طفلنا الأول .

— ٣ —

قال رئيس التحرير :

ـــ عليك أن تغطى لنا أخبار الاتحاد الاشتراكى •

ـــ أنا يا أستاذ عبد الحليم ؟

ـــ نعم أنت •

كنت واقفا فجلست •• لقد عملت بهذه الجريدة لأكتب فى الأدب ، فما صلتى أنا بالاتحاد الاشتراكى ؟ أقسم بالله أننى ما عرفت ـــ وما أحسب أحدا يعرف ـــ ما عمل الاتحاد الاشتراكى •

ـــ ولكنى أكتب فى الأدب •

ـــ وهل عمولة الاعلانات أدب ؟

سكت • ولم يسكت رئيس التحرير :

ـــ ألا تريد علاوة ؟

ـــ وهل لابد من الاتحاد الاشتراكى ؟

ـــ لابد ••

ـــ هل لى أن أكتب عنه ما أشاء ؟

ـــ على ألا يصل ما تكتبه الى أن تطرد من الجريدة •



واستطاع الشباب أن يضفى على أيامنا بهجة !

ـــ وهل أوقع باسمى ؟
ـــ ألا تريد أن توقِّع ؟
ـــ طبعا لا أريد .
ـــ ولكنك ستوقِّع .
ـــ أمرك ..

وأصبحت فجأة مسئولا عن الاتحاد الاشتراكى فى الجريدة . حاولت فى أول الأمر أن أكون محايدا لا أهاجم ولا أمدح ، ولكن هيهات يصلح هذا للجريدة ، فرئيس التحرير رجل لا تجوز عليه هذه الألاعيب . انه يطلب مقالات واضحة الاتجاه لا لبس فيها ولا حياد . وكتبت .. وكنت واضحا .. ونلت العلاوة .

حين قبلت أن أعمل بالاعلانات لم أحس بالغضاضة الشديدة ؛ شاب فقير يعيش فى جو غنى ويحاول أن يحصل على المال عن طريق شريف . ولكننى حين كتبت المقال الأول عن الاتحاد الاشتراكى ، أحسست أننى عاهرة تبيع نفسها مرغمة لمن لا تحب . ولازمنى هذا الشعور فترة ثم راح يتلاشى ويتهافت ويتخفى حتى اختفى أو كاد ، وأصبح الأمر طبيعيا . لقد تلاءمت مع الجو الذى أعيش فيه بعد أن كنت غريبا عنه . والعجيب أن اتصالى بالاتحاد الاشتراكى جعل لى سلطانا واسعا ، وعاد على بثراء يتضاءل بجانبه كل ما حصلت عليه من الاعلانات ، ووجدتنى فى مدى شهور قلائل جالسا

أمام كاميرات التليفزيون ، واذا أنا نجم . ولكن العجيب أن شعورى بأننى عاهرة عاودنى مرة أخرى ومذيع التليفزيون يسألنى وأنا أجيب . لماذا عاودنى هذا الشعور بعد أن كنت نسيته ؟ . لا أدرى . ما الذى قذف بهذا الشعور الى كيانى ؟. ألح على هذا الاحساس ورحت أفكر فيه بجدية شديدة .. حين كتبت ما لا أريد أن أكتب ، وحين حملت اسمى ما لا ينبغى أن يحمل ، كان طبيعيا أن أحس بهذا الشعور . ولكن ما الذى طفا به الى تفكيرى وأنا نجم أمام التليفزيون ؟ لعلنى أدركت على غير وعى منى ، أن الذى جعلنى أجلس أمام كاميرات التليفزيون هو أننى بعت ضميرى ورضيت أن أكون سلعة . ولكن أى عجيبة فى ذلك ؟ اننى ابن عصرى وربيب جيلى وأنا ألائم نفسى مع هذا العصر وذلك الجيل ، وان لم أفعل داستنى الأقدام ، وان حاولت أن أشرئب الى السماء — أى سماء — فمصيرى الأهوال الآخذة : أيسرها السجن وأقلها الموت . وبين الموت والسجن الوان من العذاب لم تسمع بها البشرية . ويكفى أن أفكر — اذا جاز لى أن أفكر — فى أن الاعتداء على تحية أمر غير مستبعد : وحسبى هذا . ثم أنا لا أريد أن أكون بطلا قوميا . ليكن غيرى بطلا قوميا اذا أراد ، وسوف أصفق له فى الوقت المناسب والمكان الملائم . أما أنا فأريد أن أرى طفلى هذا الذى يحبو فى ظلمات الغيب ، وأريد أن أظهر على شاشات التليفزيون ، وأريد أن أستمتع بالناس

يشيرون الىّ ، وبأصدقائى يهنئوننى على روعة الحديث الذى قدمته فى التليفزيون • وأريد أن أجلس الى هؤلاء الذين أصبحت صديقا لهم أشاربهم ويرضون غرورى ، وأمازحهم ويسكبون علىّ مع مدبحهم الأموال ، فقد أصبح لى لسان فى الاذاعة والتليفزيون ، وأصبح لى مكان ثابت فى الجريدة ، فان لم ينل مثلى الأموال فى غدق وبحبوحة فمن ينال ؟ •؟

شخص واحد كان يبتسم ابتسامة ساخرة كلما ظهرت فى التليفزيون •

ــ ألم تكن تريد أن تكون أديبا ؟ •

ــ فقد صرت أديبا •

ــ بالظهور فى التليفزيون ؟ •

ــ ألا يدل ذاك على أننى صاحب قلم ؟ •

ــ هل تفهم ما تكتب ؟ •

ــ الناس تفهمه •

ــ هل تفهمه أنت ؟

ــ لا يهم •

ــ كيف يفهم الناس كلاما لا يفهمه قائله ؟ •

ــ لا يهم •

ــ أين الأدب فيما تقول أو تكتب ؟ •

ــ أليس أدبا ؟ •

ــ الأدب كتاب •• هل أكملت روايتك ؟ •

ـ مزقتها ..

ـ لتكتب غيرها .. هل كتبت شيئا ؟ .

ـ سأكتب ..

ـ اذا كتبتها .. سأحكم ان كنت أديبا أم لا .

ـ والآن ؟ .

ـ أنت أقل من لا شيء .

ـ انني أكسب مالا .

ـ أنت يد تصفق وسط عاصفة من التصفيق ،وصوت ضائع يصرخ بالهتاف وسط أعاصير من الهتافات .. أنت أقل من لا شيء .

وهكذا أصبحت أقلل من زيارة أبى حتى انقطعت عن هذه الزيارة ، الا فى المناسبة التى لا قبل لى بتجاهلها .

أما زوجتى وحماتى وعمى نصر فقد كان فخرهم بى يفوق كل حد . لقد أصبحت تحية ولا حديث لها الا تعليقات الناس على ما أقول أو أكتب ، وقد أبت فرحتها هذه أن تخبو أو يخفت بريقها ، وكانت حماتى تتولى الدعاية لظهورى فى التليفزيون ، فما أن تعرف موعده حتى تضع يدها على سماعة التليفون والأخرى على قرصه لا تفلتها أو يكون جميع الأقارب والأصدقاء والمعارف على علم بالموعد . وحين ينتهى الحديث تعود مرة أخرى الى سماعة التليفون وقرصه لتعرف رأيهم أو لتسمع مديحهم ، فما لهؤلاء جميعا من رأى يقال .

الغريب فى هذا جميعه أننى أصبحت مقتنعا بما أعمله ..
أصبحت مقتنعا به جميعا لا أستثنى شيئا . أنا مقتنع بما أكتب وبما أقول وبظهورى فى التليفزيون . وهذا نوع عجيب من الاقتناع فأنا لا أدافع عن فكرة بعينها ، ولا أتقدم للناس برأى معين ، فاقتناعى ليس بما أقول وانما أنا مقتنع أنه لا بد لى أن أقول شيئا ، ولا يعنينى من بعد ما هذا الذى سأقوله . فأنا مثلا منذ كنت تلميذا فى الجامعة لا أميل الى الشيوعية ، ولا أحب المثل القائل « المساواة فى الظـلم عدل » . فأنا لا أتصور العدل قرينا للظلم فى جملة كلام أو فى الحياة . وقد كنت أسخر من الشيوعيين قائلا : لماذا لا تقولون المساواة فى الفقر ظلم ، فيستقيم لكم الكلام والرأى جميعا ؟ ولكننى فى الجريدة أدافع عن الشيوعية بحرارة ، وأغلب أصدقائى من المنتمين اليها أو من الذين يدعون الانتماء اليها . والحقيقة أننى اضطررت لدراسة الشيوعية دراسة متعمقة مستوعبة ، ونادرا ما وجدت واحدا من الهاتفين بها قد درسها ، وانما هم جميعا يشقشقون بها . ولولا أن الببغاء طير جميل ، لقلت انهم كالببغاوات ؛ فان أحدا منهم لا يفهم الشيوعية ، ولم أر بينهم من يقبل أن يطبقها على نفسه ، اللهم الا اذا طبقت عليه الحياة صنوف الفقر والهوان ، فهو حينئذ داعية طبيعى لها ، ومن يصب منهم غنى يعش فى بلهنية وسعادة يحسده عليها

أصحاب رءوس الأموال الضخمة • ولم أجد بين الذين أثروا من الشيوعية فى مصر من أشترى سيارة من روسيا أو ألمانيا الشرقية ، وانما لا بد أن تكون السيارة منتسبة الى بلد رأسمالى أصيل • فهم يستوردون الآراء من روسيا ، ويأبون أن يستوردوا منها نتائج هذه الآراء • ولكن الأمر الذى جعلنى أنفصل عنهم لولا لقمة العيش ، أننى تبينت فجأة أن ولاءهم الحقيقى لروسيا أو للصين ، وليس بينهم من ينتمى بولائه لمصر • والعجيب أنهم قد كونوا صفة لمن ينتمى بولائه الى بلده ، وهذه الصفة تعتبر عندهم شتما وهجوما • فحب وطنك والتفانى فى هذا الحب يسمى عندهم « شيفونية » ، نسبة الى فرنسى كان يحب وطنه حبا صادقا • فحب الوطن اذن عندهم جريمة لا تغتفر ، فهم جماعة من جنسية غير مصرية ، وهم بلا دين ، فلا شىء يصلهم بمصر مطلقا • ولا أدرى بأى حق يتكلمون عن مصر وقد انسلخوا عنها بالدين والعاطفة والولاء ؟ ولذلك فاننى أعتقد أن صفة المصرى لا تنصرف الى الشيوعى ، فاذا قلنا المصريين فاننا انما نعنى من ليس شيوعيا فى مصر ، وهؤلاء فى الحق هم مصر • أما أنا فقد كنت أتظاهر بتأييد آرائهم لأنه لابد لى أن أبدو متمسكا بهذه الآراء اذا كنت أريد أن أعيش فى مصر • ولست وحيدا فى هذا التباين بين الرأى الحقيقى والرأى المعلن ، فأغلب الذين كنت معهم يرفعون

شعارات لا يؤمنون بها • صحفي واحد كنت أجده صادقا فيما يكتب هو محرر الرياضة • وعلى رغم كرهي للرياضة فقد أحببت صديقي نديم ، فهو متحمس كل التحمس للكرة ، صادق هو فيهذا التحمس ، حتىليصور لك الدنيا جميعا ستنقلب رأسا على عقب اذا لم يلعب اللاعبون بجدية وأمانة • وكنت فرحا بصديقى وتمحسه ، فقد كنت أجد فيه الشيء الذى أفتقدم في جميع المحيطين بي فلا أجده •



حتى ليصور لك الدنيا جميعا ستنقلب رأسا على
عقب ، اذا لم يلعب اللاعبون بجدية وأمانة ! ..

— ٤ —

حين توقفت سيارتى فى الاشارة فتح بابها فجأة ودخلت الى جانبى حميدة دعبس . ذعرت ! فحميدة سيدة معروفة ، وأنا فيما يخيل الى — أصبحت معروفا مثلها — ماذا سيقولون ان رأونى معها ؟ كانت صلتى بحميدة قد انقطعت منذ تزوجت ؛ فقد كنت أذهب اليها فى كل شهر مرة أقضى عندها فترة مع فتاة تختارها هى لى ، وأشهد كان اختيارها دائما موفقا . وقد توثقت الصداقة بينى وبين حميدة ، وان كانت هذه الصداقة لم ترحمنى من دفع ما تفرضه علىّ دون مناقشة . وكان اعجاب حميدة بى مبعثه أننى لم أحاول فى يوم من الأيام أن أتعرف بالفتاة التى تقدمها لى ، أو أتدسس على كنهها وأصلها . فالواقع أنه لم يكن يعنينى منها الا الفترة التى أقضيها معها فى بيت حميدة ، ثم يذهب كل منا الى حال سبيله .

وحين تزوجت انقطعت صلتى بحميدة تماما . وقد أدركت حميدة وهى تركب مقدار الذعر الذى أحاط بى :

— مالك خائفا كل هذا الخوف ؟ .

— يا ست حميدة ألا تعرفين ؟ .

ـ وهل تثير امرأة فى سنى كل هذا الذعر ؟ •
ـ لا •• ولكن امرأة فى شهرتك تثير الهلع •
ـ وانت أيضا أصبحت مشهورا •
ـ أكل عيش ••
ـ نحن فى الهم سواء •
ـ الى اين يا ستى حميدة ؟ •
ـ الى بيتى •• لا أجد ما أركبه فلا بأس من اللجوء الى صديق قديم ••
ـ تحت أمرك •• ربنا يستر •
ـ هل ما زلت فى شهر العسل ؟ •
ـ أنا متزوج على كل حال •
ـ لم يكن بين زبائنى الا قلة نادرة من العزاب •
ـ وكيف حال زبائنك الآن ؟•
ـ أى النوعين تقصد ؟ •
ـ كلاهما ••
ـ أمثالك يزيدون •
ـ والجنس الآخر ؟ •
ـ يقل ••
ـ خير •• لماذا ؟ •
ـ البنات أصبحن لا يملن للتعامل مع المصريين •
ـ مفهوم •• وأنت لماذا لا تتعاملين مع من يردن ؟ •

ـ هذه طيور برية تعرفك اليوم ولا تعرفك غدا .. أما الزبائن من أمثالك فمثل الحمام الذى يعرف برجه ويأتى اليه .

ـ فلسفة معقولة .. ولماذا لا تقنعين البنات بذلك ؟ .

ـ ليس عندهن وقت .. انهن يعملن فى هذه الصنعة لمدة سنتين أو ثلاث بمقدار ما يحصلن على مصاريف الجهاز ، ثم يتزوجن .

ـ ألا يعملن عندك بعد الزواج ؟ .

ـ مثلك ، وكأنى لا أعرفهن ولا يعرفننى .

ـ ولماذا لا تلجئين الى المحترفات ؟ .

ـ أولا أسعارهن ارتفعت أكثر من اللازم ، وزبائنى لا يحبون أصنافهن .. ألا تعرف لى مكانا أستورد منه الفتيات ؟

ـ أنا يا ست حميدة ؟ !! .

ـ هذه هى المصيبة . الذى يعرفنى لا يحب أن يخبر أحدا أنه يعرفنى .. أتصدق بالله ؟ . ودين النبى لو أنك على سبيل المزاح ذكرت عنوانى فى المجالس التى تجلس فيها ، لجاءت الى الفتيات وأصبحت وأنا لا أعرف ماذا أعمل بهن .

ـ أنا يا ست حميدة ؟ !! .

ـ الأمر لله .. النهاية وأنت الى متى ستظل مقاطعنى ؟ .

ـ والله أظن أننى لا أستطيع أن أجىء اليك .

ـ يتهيأ لك .

ـ نعم ؟؟ !

ـ المهم •• زرنى لمجرد الزيارة •

ـ يصح ، ولو أن المسألة صعبة ، فأنا أخشى ••

ـ مفهوم •• مفهوم •• وعلى كل حال سأراك •

ـ كيف ؟ •

ـ لا تخف •• لن آجىء اليك ، ولكن من المؤكد أننى سأراك •• اسم النبى حارسك ، انك لم تنس البيت •• تسلم لى يا سى أيمن •• اسمع ! حــين تحس أنك تريد أن تجىء لا تتردد •• كل ما أطلبه أن تأتى فى الحال •• مع السلامة •

— ٥ —

تعوّد عمى نصر بك أن يمر بنا كثيراً فى جناحنا • وقد زاد من هذه الزيارات منذ ولد ابننا شهاب ، حتى لقد كان فى كثير من الأحيان يجدنا نائمين فيذهب الى شهاب ويجلس اليه يلاعبه ما شاء أن يجلس ، ثم ينصرف دون أن يسأل حتى ان كنا قد استيقظنا أم ما زلنا نائمين •• وكان كثيرا ما يأتى وهو يعرف أننا بالخارج ليزور شهاب • وقد استطاع بنفاقه أن يجعل شهاب يتعلق به أكثر من تعلقه بى ، بل بأمه •

فلم يكن غريبا أن نجد عمى نصر بك جالسا بحجرة شهاب عند عودتنا من زيارة الطبيب • وضحكت تحية فى وجه أبيها :

— ابى ادخر بعض تدليلك •

— لمن أدخره ؟

— لى أنا •

— دعى زوجك يدللك •

— طيب •• ادخره لأخى شهاب أو أخته •

— الله •• عملتوها ؟

ـــ ربنا هو الذى عملها •

ـــ أهلا وسهلا •• مبروك يا ستى ، مبروك يا سى أيمن •• مبروك يا سى شهاب •• انتظر الأخ •

وكأنما لم يعجب شهاب بهذا النوع من المزاح ، فاذا هو دون أى تريث يهوى على خد جده بكفه كله •• صرخ الكف على وجه نصر بك •• وذهلت من هذه القوة التى يضرب بها الولد جده ، ونظرت الى عينى نصر بك ورأيت فيهما الألم •• ولكن هى الهنيهة لا تزيد ، ثم وفى لحظة خاطفة شحبت معانى الألم من عينيه لتبدو مكانها اشعاعات السرور التى ما لبثت أن تعالت ضحكا مرحا عاليا :

ـــ كذا •• طيب يا سيدى •• يا ولد يا مغفل انك حين يأتى أخوك لن تجد غيرى يدللك •

وفوجئت بشهاب يضحك ملء شدقيه ••

ويلتفت نصر بك الىّ وهو يضحك لا يزال :

ـــ مر علىّ غدا فى المكتب •

ـــ خير ؟

ـــ طبعا خير •• ستعرف كل شىء •

وقالت تحية :

ـــ بابا أصبحت أنا الغريبة الآن •

ـــ كلام الرجال لا شأن للنسوان به .

ـــ كدا ؟ . طيب ..

***

لم يكن عمى نصر بك وحده حين دخلت حجرته .. ولم يكن الحديث الذى يجرى بينه وبين الموظف يهمنى .. ولم أكن قد زرته كثيرا فى مكتبه : فلم يتح لى من قبل أن أستوعب أناقة الحجرة ، فانتهزت هذه الفرصة ورحت أقلب نظرتى فى كل شىء .. الغرفة كبيرة .. كبيرة وليس فى هذا جديد بالنسبة الى .. انما الجديد مقدار الأناقة فى أثاث الغرفة . لقد كان كل كرسى فيها تحفة من التحف . ولكن الذى فاجأنى أننى وجدت بالغرفة أربعة أجهزة تكييف الهواء .. لم أكن قد أحصيتها عدداً قبل اليوم ، وقبل أن أفرغ من دهشتى كان عمى نصر بك قد فرغ من حديثه مع الموظف ، وانفردت به وبى الغرفة والأجهزة الأربعة لتكييف الهواء ..

ـــ هيه يا سى أيمن !

ـــ تحت أمرك .

ـــ ما رأيك تعمل معنا هنا ؟

ـــ والجريدة ؟

ـــ مالها ؟ .

ـــ أتركها ؟؟

ـــ من قال لك اتركها •

ـــ آه •• وماذا تريدنى أن أعمل ؟

ـــ مديرا للعلاقات العامة والاعلانات •

ـــ وهل هذه الوظيفة خالية ؟

ـــ أصبحت خالية ••

ـــ تقصد ••

ـــ منذ تزوجت أنت تحية وأنا أحاول أن أبعد عنها الموظف الذى كان يعمل بها •

ـــ من أجلى ••

ـــ من أجلك ••

ـــ فقط ••

ـــ ولسبب آخر لابد أن تعرفه •

ـــ وهو ؟

ـــ يا سيدى مدير العلاقات العامة هذا يتقاضى عمولة على الاعلانات •

ـــ رسميا ؟؟

ـــ ماذا تقصد بقولك رسميا ؟

ـــ أقصد أنها عمولةتعرف بها الشركة رسميا •

ـــ تعرف بها الشركة نعم ، أما رسميا فلا •

ـــ يعنى هو وشطارته •

ـــ شاطر •

ومد ما بين الطاء والراء ذلك المد الساخر المعــروف فى لهجتنا نحن المصريين !

ــ طبعا سعادتك لم تقبل .

ــ لم أقبل ماذا ؟

ــ أن يسمسر على الشركة .

ــ وما العيب فى هذا ؟

ــ رشوة ؟ .

ــ من قال ؟ .

ــ ليست رسمية .

ــ هل خسرت الشركة شيئا ؟

ــ لا أدرى .. ولكن أظن ..

ــ اذن فما البأس أن ينتفع أحد موظفيها ؟

ــ يعنى سعادتك كنت موافقا على هذه العمولة ؟

ــ طبعا ..

ــ اذن لم جعلت الموظف يترك عمله ؟

ــ طمّاع .

ــ كانت عمولته كبيرة ؟

ــ جداً .

ــ فسعادتك لم يعجبك طمعه ؟

ــ على العكس .

ــ كيف ؟



منذ تزوجت أنت تحية وأنا أحاول أن أبعد
عنهـا الموظف الذى كان يعمل بهـا ! ..

ــ هو يزيد العمولة على الذين يقومون للشركة بالاعلانات •

ــ اذن فالشركة لا تخسر شيئا •

ــ طبعا لا تخسر شيئا •

ــ ولكن ألا تظن أن الجهات التى ستقوم بالاعلانات ستضيف هذه العمولة على أجر الاعلان فى بنود أخرى ، دون أن تذكر كلمة عمولة ؟

ــ طبعا •

ــ اذا فالشركة هى التى ستخسر آخر الأمر •

ــ وليكن ! وهل كانت شركة أبى ؟

ــ اذن لماذا أبعدت الموظف ؟

ــ قلت لك طمّاع •

ــ آه •• فهمت •

ــ يا سلام •• أخيرا ؟

ــ كم كان يدفع لسعادتك من العمولة ؟

ــ خمسة وعشرين فى المائة •

ــ فعلا طماع •

ــ من •• ؟؟

ــ الموظف ••

ــ ما رأيك أنت ؟

ــ هل ستأخذ •• ؟

ــ نحن هنا فى عمل •• زوج ابنتى هذا فى البيت •

ــ أنا زوج ابنتك وأبو شهاب •

ــ كله لشهاب •

ــ اذن كم تريدنى أن أدفع ؟

ــ قدرها أنت •

ــ طبعا مثل الموظف السابق غير معقول •

ــ ولماذا اذن فكرت فيك؟ •• تعرف لقد فكرت فيك منذ تقدمت لتحية •• قلت هذا هو الذى يستطيع أن يشغل هذه الوظيفة وليس غيره • وساعدتنى أنت بأن أصبحت من رجال الصحافة المعدودين ••

ــ حتى لا أضيع وقت سعادتك •• أن دفعت خمسين فى المائة أيكون ••

ــ أليس كثيرا ••؟

ــ لا •• أبدا •• كله لشهاب •

ويقهقه نصر بك قهقهة عالية وهو يقول :

ــ على رأيك •• كله لشهاب •

- ٦ -

حين دخلت الى مكتبى فى الشركة لم أكن أتوقع أن تكون نيمت هى التى تنتظرنى ، فقد أنبأتنى السكرتيرة أن سيدة بانتظارى • ولم أدهش فقد توقعت أن تكون فتاة ممن يعملن فى الاعلانات تريد أن تحتال بجمالها لتنال منى اعلانا لمجلة لا يعرفها أحد •

فحين طالعتنى نيمت جالسة أمام مكتبى تولانى نوع من الدهشة ، فقد كانت ليلة الأمس تجمعنى واياها مع أصدقائنا الآخرين ، ولم تشر فى جلستنا التى امتدت ساعات طويلة أنها ستزورنى • ترى كيف استطاعت نيمت أن تصنع هذه الابتسامة ؟ • ابتسامة من نوع خاص ، فوجهها كله اشراق حتى ليخيل اليك أن كل مكان فى جسدها يشرق بابتسامتها تلك • وفى لمحة عجيبة تصيدت الدهشة التى لا أشك أنها ارتسمت على وجهى لمدة لحظة أو أقل ، ان كان هناك أقل :

ـ أعرف أنك لم تكن تتوقع •

ـ ولكن هذا لا يمنعنى أن أكون سعيدا ! •

ـ جملة محفوظة •

ـ هى التى وجدتها الآن .

ـ المهم .

ـ المهم ؟

ـ عندك مصباح أحمر .

وطلبت الى السكرتيرة ألا تدع أحدا يدخل الى مكتبى . وتفرغت مشوقا الى أسباب هذه الزيارة :

ـ أيمن ، حياتى أصبحت لا تطاق !

ـ أدرك ذلك .

ـ لماذا لم تكلمنى ؟

ـ خشيت أن أقحم نفسى على المشكلة .

ـ هل تظن أنها مشكلة خاصة ؟

ـ طبعا هى مشكلة خاصة .

ـ يا راجل حرام عليك . مشكلة الشرق الأوسط لا يشترك فى حلها من الناس قدر المشتركين فى حل مشكلة درى .

ـ ومع ذلك لم أستطع أن أقحم نفسى .

ـ أنا أريدك أن تتدخل .

ـ بأى صورة ؟؟

ـ أولا ، هل تستطيع أن تخبرنى لماذا أبعد درى ؟

ـ هل تحبين الشعر ؟

ابتسمت ابتسامتها المشرقة ، وأخفت فى مقدرة بادرة الدهشة على وجهها :

ـــ اذا فهمته .

ـــ قال الشاعر القديم :

لا تمدحن ابن عمـــار اذا نديت

كفاه يوما ، ولا تذممه ان حرما

فانهـــا خطـــرات من وســـاوسه

يعطى ويمنـــع لا بخلا ولا كرما

ـــ اذن فأنت لا تعرف سببا .

ـــ المؤكد أن ابعاده ليس للسرقة أو الرشوة .

ـــ كيف عرفت ؟

ـــ هذه أسباب تدعو لترقيته لا لرفته .

ـــ اذن فأنت تعرف السبب .

ـــ أقسم لك أن الذى رفته لا يعرف السبب . الواقع أن بقاء شخص ما مدة طويلة دون نقل أو رفت أمر غير مستحب . أتعرفين التقارير السرية كيف تكتب ؟

ـــ ومن أين لى أن أعرف ؟

ـــ اذا أراد الرئيس أن يتخلص من موظف يعمل عنده ، كتب فى تقريره السرى مخبوب من مرءوسية . هذه الكلمات الثلاث كافية لرفت أى موظف ..

ـــ معقول ...

ـــ الحب عاطفة غير مرغوب فيها هذاه الأيام . يجب أن



الحب عاطفة غير مرغوب فيها هذه الأيام !

يسود الحقد والدس والوقيعة والقسوة والطغيان والجبروت مع اهدار الكرامة والاعتداء على الأعراض ٠

ـ نعم أعرف ذلك ٠

ـ ويجب أن ندافع عن ذلك كله ٠

ـ أيمن ، أنت متألم ٠

ـ لا ، أبدا ٠٠ فقط أحس أننى قواد فاشل ٠٠

ـ الظاهر أنك لم تستطع بعد أن تصل الى مرحلة اللامبالاة ٠٠٠

ـ أنا أهرب من نفسى بالجلوس الى تحية والى ابنى شهاب وابنتى هديل ٠٠ تصورى أحسدهم ٠٠ أحسد ثلاثتهم ٠ انهم يفعلون ما يريدون دون أن تعارض نفوسهم ما يقومون به من أعمال ٠

وتضحك نيمت ويشرق جسدها ٠٠

ـ عبد المعين ٠٠ حكايتك سودا ٠

ـ ألم تعرفى هذا ٠٠٠ الا الآن ؟

ـ درى لم يشعر بأى حرج منذ اللحظة الأولى ٠ طبيعة تكوينه ساعدته على الوظيفة التى كان يتولاها ، فحين أبعد عنها أصابته حالة تتراوح بين الذهول والجنون ، وأنا وحدى من أتحمل ما يعانيه ، فالأولاد لا يعنيهم من أمرنا شىء ما دام الذى يريدونه موجوداً ٠

ـ والوالد ؟

ـ المشكلة الآن ليست مشكلة فلوس •

ـ آه •• فهمت •• والمحاماة ؟؟

ـ يحاول ولكن فى مرارة ، يختزن المرارة طول اليوم لتكون طعامنا اليومى •• أيمن ، هل تستطيع أن تكلم أحدا ؟

ـ أنا •• ؟

ـ ليس من الضرورى أن يعود الى عمله • ابحث له عن أى عمل يعيد اليه نفسه •

ـ هل تظنين أنى أتأخر يا نيمت ؟

ـ أنا أعرف مكانتى عندك •

ـ طبعا •

ـ لا تظن أننى لا أفهم •

أرتج على •• لم يكن هناك شىء لتفهمه • وفى نفس الوقت لم أستطع أن أحطم غرورها •• فالواضح أنها متأكدة أننى أكن لها شيئا •• طال صمتى •• تعلقت عيناها بشفتى •• والموقف جديد بالنسبة لى •• بل أظن أنه جديد بالنسبة للكثيرين •• فالمفروض أن يكون مثلى هو البادىء •• ويبدو أنها اضطرت للحديث آخر الأمر :

ـ أنا أعرف أنك لا تريد أن تقول شيئا ••

ورحت أبحث عن شىء يكون مناسبا • أنا لم أفكر مطلقا

فى نيمت ، بل لعلنى لم أفكر فى أحد منذ تزوجت . بل العجيب أننى كثيرا ما أتساءل لماذا يفكر المتزوج زواجا طبيعيا كزواجى فى امرأة أخرى غير زوجته واستطاعت نيمت أن تفسر بغرورها الحيرة التى بدت فى عينى التفسير الذى يرضيها :

ـ وما رأيك فى شاليه الهرم ؟

وفى ذهول وجدت نفسى أقول :

ـ هائل .

ـ نلتقى هناك .

وفى ذهول آخر :

ـ ماذا ؟

ـ ما الغريب ؟

ـ ظننتك تسألين عن موقعه .

وفوجئت بنيمت تنفجر فى ضحكة عالية ، ومرة أخرى أحسست بكل ثنية من ثنايا جسمها تضحك معها ، تضحك ، تسخر ، تنادى ، تأتمر ، تطلب ، تأمر ، بعنفوان المرأة تأمر .

وجدتنى أريد أن أتمرد ، ووجدتنى أعرف لماذا أريد أن أتمرد ، لقد خنت نفسى فى كل ما أعمل ولا أريد أن أخون زوجى . ولابد أن أتمرد . ارتسم على وجهى جمود التمرد ، وراحت الضحكة تتحول الى نوع من التشنج ، وراحت القهقهة التى كانت مندفعة هادرة الى الدنيا كلها تنزلق الى داخل

جسدها المهتز ، حتى انتهت الضحكة جميعا وتجمدت نيمت كتمثال لم يرفع المثال عنه قماشه المبتل • وثبتت فى وجهى نظرة فيها كره وفيها ضغينة وفيها تكبر بلا كبر ، واتجهت الى الباب حتى اذا بلغته قالت دون أن تلتفت :

ــ أورفوار •

وواراها الباب عن ناظرى ، وارتميت على الكرسى منتصرا لأول مرة على نفسى •

— ٧ —

كنت أظن أن السعار فى النادى مقصور على الآدميين ..
وقد مرنت على سعارهم فكنت أدخل الى النادى وكأننى داخل الى بيتى ، فأنا آمن هادىء مطمئن .

حتى كان يوم طلبت الى نحية أن أمر بها فى البيت لأصحبها الى النادى لأن سيارتها كانت معطلة ، فقد تعودنا أنا وهى أن نلتقى فى النادى عند الظهيرة ومن هناك نتفق ان كنا سنتناول غداءنا فى النادى أم فى البيت حسب الترتيب الذى تكون تحية قد أعدته . وقد كان الأمران بالنسبة لى متساويين ، فسواء عندى أتغديت فى النادى أم فى البيت ، فلم تعد تكاليف الغداء فى النادى من الأمور التى أبحث فيها الآن بعد أن أثريت هذا الاثراء .

أنهيت عملى فى الجريدة واتجهت الى الشركة فألقيت نظرة عاجلة ، ثم ذهبت الى البيت . ووجدت تحية قد أعدت الترتيب أن نتغدى فى النادى :

— مادام الأمر كذلك فدعينى أقعد قليلا مع العيال حتى تلبسى .

ـــ أنا لابسة .

ـــ دعينى أقعد معهم قليلا والسلام .

ـــ اقعد .. فقط لا تطل القعود . الشلة تنتظرنا هناك .

ـــ الشلة ... من منهم ؟ .

ـــ كلهم تقريبا .

ـــ لن أتأخر ..

توقيت عجيب أصنعه أنا والقدر فى تآلف موسيقى . لماذا بقيت مع الأطفال هذه المدة التى بقيتها ؟ و لماذا تغدينا فى النادى ؟ ولماذا تعطلت سيارة تحية ؟ ولماذا تركت الأطفال فى الوقت الذى تركتهم فيه بالذات دون تقديم أو تأخير ؟ أهو قدر ؟ ولكننى أنا وتحية والصانع الذى صنع سيارتنا جميعنا اشتركنا فى هذا التوقيت فهو نحن جميعا . تآلف موسيقى كأننا أفراد أوركسترا ضخم . والقدر هو المايسترو يحرك خطواتنا فى توافق ليصل بنا الى أحداث مرصودة لنا . فنحن نشارك فى العزف ولكن لو لم يشترك معنا الآخرون لاختلف النغم . ولو لم يمسك المايسترو عصاه لاختل التوازن ولم تحدث الأحداث . لا يهم أن تكون الأحداث سعيدة أو محزنة ، انما لا بد لها أن تحدث على أية حال .

فان القدر لا يعنى كثيراً أن نكون سعداء أو تعساء ، كل ما عليه أن يقود الأوركسترا و يتم التناغم ويستمر العزف .

بلغت النادى ووجدت مكانا أوقف به السيارة ، وان كان بعيدا بعض الشيء عن قاعة الطعام التى نقصدها • ونزلنا أنا وتحية وأخذنا سمتنا الى أبنية النادى • ونجأة أقبل كلب ينهب الأرض لاهثا يتدلى لسانه من فمه قاصدا تحية ، وكأنما هو يعرفها أو كأنما هو مرسل اليها • ودون أن أشعر بما أفعله وجدتنى أخطف تحية الى الخلف وأتصدى أنا للكلب أستقبل هجومه • دفعنى بكلتا يديه فى صدرى فكدت ألقى الى الأرض ، ولكننى تماسكت بعد أن تخاجت قدماى • وعاد الى الكلب لا ليدفعنى هذه المرة وانما ليعضنى فى ساقى عضة مغيظة ، وأجد نفسى أركله فيجرى محاولا الهرب • ولكننى أصيح أن يمسكوا به ، فينبت من بين الحراس خبـــير بشأن الكلاب ويمسك به ويحبسه •

وتجرى التحليلات •• انه كلب مسعور •• وأبدأ فى العلاج ما أهون العلاج بجانب الحب الذى تبدى لى من تحية ومن أمها ومن أبيها جميعا •

عادت تحية الى أيام حبنا الأول منذ نحن نلتقى تحت الشجرة الحالمة فى بيت أبيها •لقد أحسست فجأة أن حبى لها حب تلقائى لا تفكير فيه ، وهو فى نفس الوقت ملىء بالتفكير • أحسست أن الوهلة التى دفعتها فيها لأتلقى عنها الكلب قد جمعت كل حياتى لتكون وقاء لها ودرعا وحماية • وأحس أبوها

وأحست أمها أن تحية فى ظل رجل يبذل حياته دون تردد من خوف أو تريث فيحمى ابنتهما ، فاذا الهدايا تنسكب على ألوانا شتى •

ولكن هذا لم يجعل نصر بك يفكر فى أن يتنازل عن نصيبه فى عمولات الشركة ، فالواقع أن الرجل حازم غاية الحزم فى فصل المسائل العائلية عن أعمال الشركة •

أما حماتى فقد فرحت بى لأنى حميت ابنتها ، وفرحت بى أكثر لأننى أصبحت حديث الجرائد والمجلات لعدة أيام •

أما تحية فهى وحدها التى تدفقت بحبها على تسكبه ألوانا متجانسة ومختلفة ، ولولا الخجل لقلت أننى أرهقت بعض الشىء من هذا الحب ، وان أكن قد تمتعت به متعة لم أعرفها فى سنى زواجى جميعها ، بل ولا أحسب أننى عرفتها عند السيدة الفاضلة حميدة دعبس •

- ٨ -

لا يهم أين كنت : ولا يهم كيف جئت الى بيتى قبل موعدى بليلة .. لا يهم شيء من هذا .. أنها تفاصيل تافهه صغيرة حقيرة دبرها الاتحاد الاشتراكى وتحية وأنا وماجد وعصا القدر الذى يعزف سيمفونية الحياة المقيتة العجيبة المميتة دون أن تميت ، والتى تصيب الانسان فى مقتل وتبقى عليه بعد ذلك جثة تحيا ولا تحيا ، تعيش ولا تعيش ، تسعى على قدمين وهى من داخلها تحمل الجثمان والكفن والقبر والنهاية .

زوجتى فى أحضان ماجد ! بهذا طالعنى الفراش حين فتحت الباب . أسرعت أغلق الباب ، ثم عدت وفتحته ، ثم أغلقته ثم فتحته ، ثم ذهلت ، ثم صحوت لأجد نفسى أتراجع خطوات لألقى بالبقية الباقيه من جثمانى على مقعد . ثم أنا فى عالم آخر ، أدريه ولا أعرفه ، أعيه ولكنى عنه فى غيبوبة ، أسمع صوتهما فى شهقات ولا أسمع مما يقولان شيئا . لم يكن هناك شيء يقال الا الهمهمة والخزى والألم يعتصر كل شيء فى . لكن لماذا ؟ .. للجنس ؟.. اننى مرهق من الجنس ؟ .. للحب ؟.. اننى مرهق من حبها ؟ .. للمال ؟ .. المال لديها .. للمتعة ؟ ..



زوجتى فى أحضـــان ماجد ! بهذا
طالعنى الفراش حين فتحت الباب

فماذا كنت أصنع طوال الأيام الماضية .. حتى الأمس .. الأمس فقط ؟ لماذا ؟ . أنا أشهر منه .. وانا أجمل منه .. وأنا أكثر شبابا منه .. وأنا حبها الأول .. المؤكد أنني حبها الأول .. وأنا أبو أولادها .. وأنا حب الطفولة والصبا والشباب .. صنعنا أيامنا على أيدينا . وصنعناها كما تشتهى هى أن تصنعها . اذن لماذا ؟ لماذا ؟ لماذا ؟ لماذا ؟ .

خرجت ولماذا تتدفق مع كريات الدم فى عروقى وفى ضميرى وفى عقلى وفى كيانى .

ذهبت الى بيت أبى والليل يقترب من الصباح . معى المفتاح لم أخلعه عن جيبى فقد كنت أحس به الشىء النظيف الوحيد الباقى فى كيانى .. كان هو وزوجتى اللذين يمثلان الصدق فى حياتى . والآن لم يبق الا مفتاح بيت أبى فقط . دخلت الى حجرتى القديمة ، وأغلقت الباب ثم اغلقته ، ثم أتيت بكرسى ووضعته من خلفه وجلست عليه . لم أكن أريد الحياة أن تتسلل الى هذه الحجرة .

★ ★ ★

كم من الساعات بقيت ؟ لا أدرى . كم من الأيام بقيت ؟ لا أدرى . لقد فقد الزمن معناه ، وسقطت الحياة جميعا بعد أن كانت أمام ناظرى بناء شامخا يشدنى الى ذراه . وأحسست كأنى شجرة صوحت وانخلعت جذورها من أعماق الأرض

لتصبح جذورا من العدم ، فهى كلا شىء ، كهباءة لا معنى لها ولا كيان ولكنها مع ذلك موجودة ، شائهة هى فى وجودها ، عقيمة طزيلة ككلمة لا تقال من فم أبكم تصدر والى أذن صماء تذهب . وهذه اللماذا ما زالت ترج كيانى كله ، تزلزله فى ضربات طاغية منتظمة أوقع رتيبة الميقات ، ولا أطيق منها فكاكا ولا عنها منصرفا .

***

حين خرجت من الحجرة كانت الحياة قد تكونت أمام ناظرى بشكل جديد ، وكنت قد دبرت فى خلوتى كل شىء .

أخبرت أبى وأمى أننى تارك زوجتى لأننا غير متفقين . لم أحب أحدا غيرى ن يعرف أن أم هديل وشهاب عاهرة ، بل أحقر من عاهرة ، فقد تجد العاهرة سببا لعهرها ، وقد تجد الخائنة سببا للخيانة من كره لزوجها ومن فارق سن بينهما أو من سوء خلق له ، ولكن أم أشرف وهديل عاهرة لغير ما سبب من هذه الأسباب التى قد تقيم عذرا لها أمام نفسها أو أمام بعض الناس . انها عاهرة بسبب لا أعرفه حتى الآن ولكننى مصمم على أن أعرفه . وعلى كل حال فلا ذنب لأشرف وهديل أن تطالعهما الحياة بهذه السمعة .

خرجنا من بيتنا وركبت سيارتى .. نعم السيارة التى أهدتها الىّ . أننى الآن أكثر استحقاقا لها .. لقد دفعت فيها كرامتى بجانب الكثير من شبابى . وذهبت الى المأذون وأتممت

اجراءات الطلاق وأرسلت الورقة بالبريد المسجل المستعجل .

ثم توجهت من مكتب البريد الى :

ـ أهلا .. ألم أقل لك أنك ستأتى ؟ .

ـ وقد أتيت .

ـ طلباتك ؟ .

ـ ستدهشك طلباتى يا ست حميدة .

ـ لن تستطيع أن تدهشني أبدا .

ـ سنرى .

ـ قل ..

ـ أريد أن أتعرف بسيدات شابات .

ـ لا غرابة فى ذلك .

ـ متزوجات .

ـ غريبة بعض الشىء ! ولكن لا بأس .

ـ وأريد ..

ـ قل .

ـ أريدهن على حب مع أزواجهن .

وفجأة صعد الى وجه الست حميدة نوع من الحب تخالطه آثار من الشفقة جاهدت أن تخفيها . ومن خلال هذا الجهد وثبت الى عينيها دمعات فلوت رأسها مسرعة ، ثم عادت بها منكسة وهى تقول :

ـ طلباتك موجودة يا ابنى ..

— ٩ —

حين التقيت ببهيرة فى الغرفة التى خصصتها لنا الست حميدة راحت فى عجلة تخلع ملابسها ، فعاجلتها :

— فيم العجلة ؟ •

— لابد أن أرجع الى بيتى بعد ساعه على الأكثر •

— سأجعلك تذهبين فى الموعد •

— كيف ؟

— معى سيارة •

— وأنا معى سيارة •

— أريد أن أتحدث اليك •

— ألهذا جئنا الى هنا ؟ •

— أحببت أن أتعرف بك •

— لماذا ؟ ••

لم أدر ماذا أقول ولم تسكت هى :

— نهاية التعارف بين امرأة ورجل أن يصلا الى هذا ، وما دمت قد وصلت فماذا تريد من التعارف ؟ •

— ربما كنت أريد أن أتحدث اليك •

ـ وهل هنا مكان صالح للحديث ؟ •

ـ فعلا لك حق •• اخلعى ملابسك •

ووجدتنى فجأة أرغب عن الحديث واشتهى أن أفرغ بين أحضان هذه المرأة التى أراها لأول مرة ، كل هذه العفة التى ألزمت نفسى بها فترة زواجى من تحية •• وحين جلست قلت لهـا :

ـ أريد أن أزورك فى بيتك •

وسكتت وراحت تلبس ملابسها فى صمت ، وسيطرت على ذهنى هذه اللماذا التى لا تريد أن تفارقـنى والتى اخالها ستقتلنى فى أتونها :

ـ هل زوجك شاب أو رجل عجوز ؟ •

ودون أن تلتفت الىّ :

ـ عجيبة اهتمامك هذا بزوجى •• ألا أكفيك أنا ؟ •

ـ أريد أن أعرفك •• أن أكون صديقك •

ـ ان صداقة تقوم بينى وبينك من طبيعتها أن تنتهى بهذا الذى كنا نفعله الآن •

ـ هناك ناس يحبون أن يبدءوا من النهاية •

ـ هذا لا يكون الا فى القصص •

ـ وأنا أكتب القصص أحيانا •

ـ أنا أعرفك •

ـ لماذا لم تقولى ؟ •

ـــ ليس من المفروض أن أقول •

ـــ من الذى فرض هذا •

ـــ أصول العلاقة التى تقوم فى بيت الست حميدة •

المفروض أنه لقاء عابر يتم وينتهى ويمضى كل الى حال سبيله •

ـــ فاذا أردت لهذه العلاقة أن تتطور ؟ •

ـــ أكون بهذا قد خنت السيدة حميدة •

ـــ وأنت لا تحبين أن تخونى الست حميدة •

لم تجب ووجدت نفسى مضطرا أن أقول :

ـــ واذا استأذنت أنا الست حميدة ؟ •

ـــ فى هذه الحالة ننظر فى الأمر •

★ ★ ★

الشقة التى تسكنها فاخرة ، فهى لاشك فى غير حاجة الى الأجر الذى تتقاضاه من الست حميدة • واستطاعت بحيلة بسيطة أن تعرفنى بزوجها فأنا صحفى وهو يعمل فى مكتب أحد الوزراء ، ويمكن جدا أن يكتب صحفى بحثا عن مكاتب الوزراء • زوجها شاب أنيق غاية الأناقة ، لا يتغاضى عن أناقته هذه فى مخارج ألفاظه وفى اختيار هذه الألفاظ • وهو من هذا النوع الذى يمكن أن تتناغم أناقته مع ملامح وجهه • وواضح جدا أن الأناقة تمثل عنده أساسا من أسس الحياة التى لا تقوم الحياة الا بها • وواضح أيضا أن بهيرة تحب هذه الأناقة فى زوجها

وتعجب بها وتنتحراها فى حياتها • قد قدمت لى الويسكى فى عناية باعداده ، وحفت الكأس بألوان شتى من المأكولات التى تحيط بالويسكى لم تغفل منها شيئا حتى الكفيار والفواجرا • وكان هانى سعيدا بالطريقة التى تقدم بها بهيرة الشراب الى ، سعيدا بأن بيته مستعد هذا الاستعداد الأنيق • وكلما التقت نظرة من بهيرة بنظرة من هانى ، أكاد أرى نوعا من ضوء الحب العميق يشع فى الأجواء •

لا يمكن أن يقوم هذا الحب جميعه بين الاثنين الا على أسس كاملة ، فلا يمكن مثلا أن يكون الزوج عاجزا •• أو قد يكون • وعزمت أن أسأل بهيرة عن هذا فى لقائنا القادم •• ترى هل تصارحنى ؟ •

ووجدت نفسى أندفع فى توطيد الصداقة بينى وبين هانى :

ـ أنت تعرف أن سكرتير الوزير يجب أن يبقى فى الظل •

ـ أعرف هذا •

ـ فما هذا البحث الذى تريد أن تقوم به ؟ •

ـ ما رأيك أنت ؟ •

ـ حين أخبرتنى بهيرة رأيتها فرصة أن أتعرف بكاتب لامع مثلك •

ـ أتعتقد فعلا أننى كاتب لامع ؟ •

ـ وهل فى هذا شك ؟ •

ـ شك كبير .. ماذا قرأت لى ؟ .

ـ تكفى صورك فى الجرائد ، وأحاديثك فى الاذاعة والتليفزيون .

ـ ولكن هذا جميعه لا يدل على أننى صحفى لامع .

ـ فعلى ماذا يدل ؟ .

ـ لا علينا .

ـ المهم أننى أحببت أن أتعرف بك .

ـ وأنا أحببت أن أتعرف بك .

وكأنما وجدت بهيرة نفسها قد سكتت طويلا :

ـ الله .. الله .. المسألة انقلبت الى غزل .

ـ غزل لغيرك وأنت موجودة .. هل هذا معقول ؟ .

ـ طبعا أنت رجل بضاعتك الكلام .

ـ لا أبدا ، عندى بضاعة أخرى .

ـ مثلا ؟ .

ـ مثلا عندى لوج الليلة فى الباليه .

ـ والنبى ؟؟ .

ـ والنبى .

ـ هانى .. ما رأيك ؟ .. ألححت عليك فلم تستطع أن تجد لنا ...

وقاطعها هانى :

ـــ لا داعى لكثرة الحديث •• اذهبى والبسى •

ـــ شبيه •• أنت هائل يا أستاذ أيمن •

ـــ لو قلت أستاذ هذه مرة أخرى ألغيت الدعوة •

ـــ ولا يهمك يا واد يا ايمن •

وذهل هانى :

ـــ الله •• الله كدا مرة واحدة •• لا مؤاخـــذة يا أستاذ أيمن •

ـــ وأنت أيضا •• اذا كررت أستاذ هذه سأوقع عليـــك عقوبات شديدة •



الله .. الله ! المسألة انقلبت الى غزل

— ١٠ —

لم أكن أتوقع طبعا حين رفعت سماعة التليفون أن أجد هذا الصوت يطالعنى بهذا الاسم :

ـ أنا عمك نصر •

ـ ماذا ؟ •

ما دمت لم تسمع فأنا نصر الملوانى رئيس مجلس ادارة الشركة التى تعمل بها •

صمت لحظة ، وعاد الىّ الصوت :

ـ ماذا ؟ ألم تسمع هذاأيضا ؟ •

ـ بأى صفة من الصفتين أجيب ؟ •

ـ اختر الصفة التى تجعلك تجيب وتكلم •

ـ اذن فأنا أختار الصفة الثانية ، وأنا تحت أمرك •

ـ لماذا لا تأتى الى الشركة ؟ •

ـ أعتقدت •••

ـ حمار •

ـ نعم ؟

ـ هو ما سمعت •

ـ أنا قادم اليك .

يمكن أن يكون رد الفعل لما حدث أى شيء الا أن يكون مزاحا .. لابد أن الرجل لم يعرف حقيقة ما جرى فى غرفة تحية :

ـ لماذا لا تأتى للشركة ؟ . ألست موظفا بها ؟ .

ـ الظاهر أن حضرتك لم تفهم الوضع تماما .

ـ أى وضع ؟

ـ الذى كان بينى وبين ..

ويقاطعنى فى سرعة :

ـ بينك وبين أحد موظفى الشركة ؟ .

ـ لا بينى وبين تحية .

ـ هل فى هذه الشركة موظفة اسمها تحية ؟ .

ـ ابنة رئيس مجلس الادارة .

ـ موظفة هى فى الشركة ؟ .

ـ لا ، زوجتى .

ـ زوجتك يا شاطر هذه فى البيت . نحن هنا فى شركة .. أموال عامة .

ـ يا نصر بك لابد من توضيح المسائل .

ـ أية مسائل ؟ .

ـ الأمور لاتكون بهذه البساطة .

ـ ترجع الى عملك أولا .

ـ مسألة عملي هذه بسيطة ، انما لابد أن تعرف ما جرى ، ما رأيته بعيني .

وصمت قليلا وهممت بالكلام فأشار الى ّ أن أصمت وأطرق لحظة ثم رفع عينين منكسرتين :

ـ اذا شئت أن تتكلم فتكلم ، ولكن اسمح لى أن أتكلم أنا أولا . ان ما بينك وبين زوجتك لا يجوز أن يتدخل فيه أحد .

ـ حتى أنت ؟ .

ـ حتى أنا .

ـ أبوها .

ـ لا أبوها ولا أمها ولا أحد .

ـ هذا غير معقول .

ـ سيأتى يوم تعرف أن هذا هو المعقول .. هل قلت شيئا لوالدك أو والدتك ؟ .

الرجل لا شك يعرف كل شيء .. أطرقت خجلا من أجله :

ـ لا .. لم أقل شيئا ، من أجل شهاب وهديل لم أقل شيئا .

وأشرقت ابتسامة على وجه نصر :

ـ ولكن لابد أن أقول لك .

ـ لا أريد أن أسمع شيئا . وربما جاء يوم تشكرنى فيه لأننى لم أسمع .

صمت •• انه قواد راسخ القدم يعرف كيف يستر الأمور حتى على نفسه :

ــ تعود الى عملك بالشركة •

ولم لا ؟ •• لقد كنت أدفع له نصيبه فهو منتفع بوجودى بالشركة مثل انتفاعى أنا بهذا الوجود • وقد كنت أدفع شبابى فى مقابل هذه الوظيفة فما البأس اليوم أن أدفع صمتى • وقد كنت سأصمت على حال من أجل ابنى وابنتى •• أى بأس اذن أن أعود ؟ • نعم أعود •

—١١—

كانت مواعيدى مع بهيرة تتحدد بالتليفون ثم نلتقى عند الست حميدة ، وقد حاولت فى مرات عديدة أن أعرف شيئا عن سر خيانتها لزوجها فلم أستطع • عجزت فى لقائى معها أن أعرف • السر •• وعجزت فى لقائى معها أن أصل اليه • ولكن صداقة جديدة على أية حال قامت بينى وبينها هى وزوجها معا • وقد كان الزوج واثقا فى الى درجة أنه كان يجعلنى أصحب بهيرة الى النادى وحدنا ويلحق بنا الى هناك ، أو يشغله عمله فلا يلحق بنا • استغلق على السر فترة ليست بالقصيرة الى أن كان يوم كنت فيه مع بهيرة فى بيت حميدة ، واستطعت من خلال همهمة تكاد لا تحس أن أدرك السر • أو على الأقل خيل الى أننى عرفته • لقد كان زوجها محروما مما يتمتع به جنسه ، وحرمت هى مما يتمتع به جنسها •

اذن فلبهيرة أسبابها فى أن تخون زوجها •• لا غرابة اذن فيما تفعله ولا عجب •

فلأحتفظ اذن بصداقة بهيرة وزوجها ، ولأواصل — البحث الذى رصدت له نفسى •

* ★ *

عرفتنى الست حميدة بسيدة أخرى فى أواسط الشباب جميلة ذات جاذبية ، يعمل زوجها وكيلا للوزارة • وفى أول لقاء فى بيت الست حميدة عرفت أن لها أولادا • فالسبب الذى توفر عند بهيرة ، لم يكن متوفرا عند لواحظ • ولم يكن من الصعب أن تدعونى لواحظ الى بيتها ، بيت يجاهد أن يبدو أنيقا ولكن يخذله الجهد • واضح أن زوجها رجل شريف فى عمله ، لا يقبل أن يمد يده لغير ما يستحق •

ولم يستغرق الأمركثيرا لأعرف السر الذى يقف وراء خيانة لواحظ لزوجها •• فهى تحبه أشد الحب وتريد أن توفر له ولبيته كل ما يحتاج اليه هذا البيت •• فباعت نفسها لزبائن الست حميدة حبا لزوجها وحفاظا منها على بيتها • ان هذا المثل لا يصلح لى أيضا • لم يكن المال لينقص تحية ، ولم يكن ماجد بالذى يعوض هذا النقص ان وجد • فلتكن لواحظ وزوجها فائق بك أصدقاء ، ولأعد للبحث مرة أخرى •

* ★ *

سيدة خمرية اللون ذات شعر أسود منساب حالم ، وعيون فيها دعة وفيها جرأة ، جمعتنا الحجرة وسعدت بهذا الاجتماع سعادة لم أعهدها من قبل • زوجها يعمل فى جهات كثيرة من القطر ويغيب عنها كثيرا ، وهى تحب ألا يغيب عنها زوجها كثيرا ، فهى تحب الحب لذاته ، ولا يعنيها فى كثير أو قليل

الرجل الذى يمارس هذا الحب معها . نوع من الهواية لا تعرفه تحية بكل تأكيد .

وأصبحت نعيمة صديقة هى أيضا ، وما لبثت أن عرفتنى بزوجها ليدخل فى زمرة الأصدقاء . ولكن البيت لم يمدنى بالسبب الذى خانتنى من أجله تحية .

★ ★ ★

عرفت أزهار وعرفت زوجها ، سيدة جميلة هذا النوع الهادىء من الجمال . ولكنها مجنونة بحب البذخ ، وزوجها غنى وكريم ، ولكن غناه وكرمه جميعا لم يستطيعا أن يواجها رغباتها فى حب الشراء وحب الانفاق ، فتعرفت على الست حميدة واستطاعت بجهدها الشخصى أن تصل الى ما تريده من مال .

سبب جديد للخيانة ولكنه لا يروى غليلى . فما هكذا تحية ، فلأعد مرة أخرى .

- ١٢ -

كثرت صديقاتى وكنت أصحبهن جميعا الى النادى . ولم تكن واحدة منهن تجد حرجا أن تصحبنى ، فجميعهن ماهرات فى خلق المعاذير لأزواجهن .

وأصبحت ذا شهرة واسعة فى عالم المغـامرات ، ولكن شهرتى مهما يكن شأنها لم تخفف من دهشتى يوم استدعانى رئيس التحرير :

ــ اسمع ! سأطلب منك طلبا ان رفضته قتلتك .

على وجهه ابتسامة انسان لا رئيس . وخيل الى أن الابتسامة انتقلت الى شفتى أنا أيضا :

ــ من غير قتل ، قل ما تريد .

ــ البنت التى كانت معك أمس فى النادى .

ــ بهيرة .

ــ اسمها بهيرة ؟

ــ هذا هو اسمها .. ما لها ؟

ــ أريد أن أتعرف بها .

ــ ماذا ؟

ــ ألم تسمع ؟

الواقع أننى سمعت . ما البأس ؟ انها ليست حبيبتى ، وهى ليست شريفة .. وان رفضت قطعت رزقها .. رزقها .. يانهار أسود .. هذا ليس من حقى :

ــ لا يمكن .

ــ ماذا ؟

ــ ليس هذا من اختصاصى ..

ــ أى اختصاص تقصد .. وهل نتكلم الآن فى الاختصاصات ؟

ــ ان لها مدير أعمال .

ــ مدير أعمال ؟

ــ أو مديرة أعمال اذا شئت .

ــ الحقنى .

ــ اكتب هذه النمرة .

وأمليته تليفون الست حميدة .

ــ وماذا أقول ؟

ــ آه جئنا للكلام المهم .

ــ لا يمكن طبعا أن أقول لها أنا رئيس تحرير جريدة الأيام و ...

ــ لا •• لا طبعا •

ــ اذن ••

ــ لابد مما ليس منه بد •

وامسكت سماعة التليفون ، وفى لحظات كنت قد رتبت الموعد للأستاذ عبد الحليم راشد مع بهيرة بالطريق الطبيعى لذلك •

★ ★ ★

مرت أيام ونسيت أمر هذا الموعد الذى أعددته ، وذهبت الى الست حميدة لأواصل بحثى الذى لا يريد أن ينتهى بى الى شىء يريحنى •

كانت الست حميدة قد وعدتنى أن تعد لى فتاة جديدة أمارس عليها البحث ، فما أن رأتنى :

ــ أهلا أين أنت ؟

ــ أنا لم أتأخر •• موعدك معى اليوم •

ــ آه والبحث جاهز ، ولكن ليس هذا الذى أريدك فيه •

ــ خير ؟

ــ لك عندى رسالة •

ــ رسالة ممن ؟

ــ منى ••

وأعطتنى ظرفا مغلقا •• قلبته بين يدى ، ثم سألتها :

ــ ولماذا لا تقولين أنت الرسالة وأنا أمامك بشخصى ؟

ـــ هذه رسالة لا تقال وانما تسلم •• افتح الظرف •

وجدت بالرسالة ثلاث ورقات من فئة العشرة جنيهات •

ـــ ما هذا ؟

ـــ نصيبك •

ـــ نصيبى فيم ؟

ـــ فى الزبون الذى أحضرته •

ـــ كل هذا نصيبى وحدى •• لماذا ؟

ـــ الأجر الأول كله لك •• وما يدفعه بعد ذلك لى أنا وللبضاعة المطلوبة •

ـــ خذى يا ست حميدة •• أنا لم أفكر فى هذا أبدا •

ـــ مصيبتك أنك لم تفكر •• لماذا لم تفكر ؟ • واذا جئت لى بسيدة أو فتاة فأجرك ضعف هذا •

كنت قد نسيت الغضب فى هذه الفترة التى مرت بى بعد حادثة تحية وماجد ، ولكننى فجأة وجدت الغضب يعود الى ، ويبدو أنه تمثل فى نظرتى ووجهى فقد فوجئت بالست حميدة :

ـــ اهدأ وفكر •

ـــ من غير تفكير •

ـــ دايما ياأيمن التفكير أحسن •• فكر •• ان لك أصدقاء كثيرين وسيطلبون منك ما طلبه عبد الحليم وستفعله ، فلماذا تفعله مجانا ؟ •



ولماذا تقولين أنت الرسالة ، وأنا أمامك بشخصى ؟

جلست الى جانبها وصمت طويلا والظرف ما يزال فى يدى أقلبه .

وفى خبرة قادرة راحت تنظر الى ، وأحسست بها ترى كل خلجة فكر تمر برأسى . كانت واثقة من منطقها وكان لى أنا الآخر منطقى . اننى فى مقابل ما سآخذه منها سأبذل جهدا يستحق أجرا .. فهو أجر مقابل جهد . أما مسألة الكرامة فلم تعد موضع مساومة ؛ فأنا لم تعد عندى كرامة لأبيعها ، لقد نفدت من عندى منذ زمن طويل ، لقد بعتها فى مقابل المال ولعل المال الذى تقاضيته فى سبيلها أكثر تحقيرا لى من هذا المال الذى أتقاضاه من حميدة .. لقد بعت كرامتى وتقاضيت ثمنها من مال مخضب بدماء العاملين فى بلدى ، أما مال الست حميدة فهو مال مقابل لذة .. انه مال غير مخضب بدماء البشر ، ومن يدفعه يحب أن يدفعه . أما المال الذى كنت أتقاضاه فى الشركة أو من غيرها فهو أموال لم يسمح أصحابها لى أن آخذها وانما اغتصبها منهم قوم أغدقوها على أمثالى من قوادى الضمائر .. كنت قواد رأى وهذا ألعن ألف مرة من أن أكون قواد لذة . أما ما شعرت به من غضب فهو رواسب من عهد الطفولة ما لبثت أن أدركت سذاجته . لم تدهش الست حميدة حين وضعت الظرف فى جيبى ، ولا شعرت أنا بأى وخز من ألم . وسألت فى انطلاقة نفس يعرفها أمثالى :

ــ هل جاء البحث الجديد ؟

— ١٣ —

كنت جالسنا بغرفتى بالشركة ، وفتح الباب فجأة اتقف عليه تحية . ذعرت ! انتفضت عن الكرسى أريد أن أهرب ، ولكنها كانت تقفل الباب بجسمها . أردت أن أصرخ ولكنى خشيت أن تسمعنى السكرتيرة ، وأنا لا أريد أحداً أن يسمع هذا الصراخ .. هذا الصراخ بالذات لا أريد أن يسمعه أحد .. أحسست بأيدى شهاب وهديل على فمى يكتمان صراخى أن ينطلق .

وجدت نفسى كفأر أطبقت عليه مصيدة .. ذهبت الى أقصى الحجرة وكأنى أبحث عن مهرب ، وأنا أعلم الامهرب . وكل ما استطعت أن أفعله هو أن أوليها ظهرى وأصرخ فى صوت خفيض :

ــ اخرجى .. أرجوك .. اخرجى .

دخلت وأقفلت الباب ، وجلست وهى تقول :

ــ اهدأ .. اهدأ يا أيمن .

اهدأ .. هى الأخرى تطالبنى بالهدوء كالست حميدة ..

تذكرت الست حميدة فوجدت نفسى أهدأ فعلا • كيف تستطيع النار المشبوبة اللاهبة أن تخمد هكذا فى جزء من هنيهة كأنما خفت أن تكون قد عرفت بالتجارة التى أمارسها مع الست حميدة • ولكن الأمر مختلف •• ان السيدات اللواتى أرسلهن لسن زوجاتى ولا عرضى • الأمر مختلف • ولكنى مع ذلك أجد نفسى هادئا • لا أريد لهذا الهدوء أن يبين على صفحة وجهى •• فصرخت •• فى هذه المرة صرخت بأعلى صوت لى :

ــ لماذا ؟

وساد صمت ثم عدت أقول ودون صراخ :

ــ اننى من يومها أبحث لماذا •• لماذا •• لماذا ؟

ــ غلطت •

ــ فقط •

ــ الحقيقة أننى لا أعرف نفسى •

ــ مجنونة •

ــ ما رأيك ؟

ــ لو كنت لحظت عليك جنونا ما أتعبت نفسى فى البحث •

ــ لعله نوع من الجنون المتقطع •• لقد أردت أن أغامر •• كل شىء ميسر لى •• والحياة ملل •• ولابد لنا أن نقطع الملل •

ــ بشرفك وشرفى وسمعة بنتك وابنك ؟

ــ وما المغامرة ؟ أليست مقامرة ؟

ــ والمثل والمبادىء ؟•• طبعا كلام فارغ •

ـــ أنني ابنة نصر بك الملوانى •

ـــ فعلا لك حق •• المثل عندكم من لون مختلف •

ـــ تأكد لن يتكرر هذا •

ـــ ما شأنى أنا تكرر أو ام يتكرر •

ـــ أنا زوجتك •

ـــ طلقتك •

ـــ لابد أن تعود معى •

ـــ أعود معك ؟

ـــ الى شهاب وهديل •

ـــ ومن أدرانى أن ماجد وحده ، لعل هناك ••

ـــ تقصد هناك غيره •

ـــ أم تراك مخلصة له ؟

ـــ المسألة مجرد قطع ملل ، ولا تحتاج لأكثر من واحد •

ـــ هناك قواعد للدعارة •

ـــ قواعد للمغامرة • ان لم تغفر من أجـلى فمن أجل الأولاد • على الأقل امنع تقولات الناس •

صمت • كيف أسمح لهديل أن تربيها هذه المستهترة ؟ وكيف لا أحمى سمعة شهاب أن ياوكها أصدقاؤه ؟ وأنا •• ماأنا ؟ لأكن ما أكون ولكن وجودى على أية حال قد يجعلها تتخفى فلا تتبجح •• صمت • وطال الصمت ولم أجد شيئا أقوله

ولم تقل هى أيضا شيئا •• صمت مطبق لم يتصل فيه حتى هذا الحديث الذى يمــكن أن يدور بين اثنين صـــامتين فى غرفة واحدة • صمت مطبق حتى لم يعد برأسى شىء أفكر فيه •

وسألت فى لهجة أعرفها وكأننا عدنا زوجين ، بل كأننا ما افترقنا :

ـ هل سيارتك معك ؟

صمت قليلا ثم قلت :

ـ نعم •

ـ أنا بدون سيارة • سيارتى يصلحون لها الفرامل •

ـ أرجو أن تصلح الفرامل •

ـ هيا بنا •

وقمت مستسلما • وفى الطريق ملت الى فندق هيلتون لأشترى تورتة وجاتوه للأولاد • ونزلت معى الى الفندق وحين هممت أن أدفع الحساب وجدتنى أخرج ظرفا من ظروف الست حميدة وقالت تحية :

ـ أين محفظتك ؟

ودون تفكير قلت :

ـ هكذا أسهل •

وبينما كانت البائعة تبحث عن باقى النقود رحت أفكر كيف أشترى بنقود الست حميدة حلوى لأولادى ، ولكن

ما البأس ؟ • انني سأشترى لهما أشياء كثيرة بهذه النقود ، فأنا قد عرفت مصيرى وعرفت مصير أمهما • وكل ما أسعى له فى الحياة ألا يعرف شهاب الست حميدة الا كما كنت أعرفها أنا قبل الزواج ، وألا تعرف هديل الست حميدة مطلقا • ولعلى •• لعلى بما اكتسبت من خبرة فى الصحافة وفى المجتمع وفى حجرة تحية وفى حجرات حميدة ، لعلى أستطيع أن أبلغ بابنى وبابنتى الى هذا الذى أصبو اليه •

القاهرة : فى ١٦ أكتوبر ١٩٧٤

« ثروت أباظة »

روايــات المــــؤلف

١ ـــ ابن عمار •
٢ ـــ هارب من الأيام •
٣ ـــ قصر على النيل •
٤ ـــ ثم تشرق الشمس •
٥ ـــ لقاء هناك •
٦ ـــ الضـــباب •
٧ ـــ شيء من الخوف •
٨ ـــ أمواج ولا شاطيء •
٩ ـــ جذور فى الهواء •